

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# من أبرز القواعد التفسيرية اللغوية

من كتاب (الأساس والتنوير  
في أصول التفسير)

أ.د. عبدالستار محمد الحكيم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

## الفصل الثاني: من أبرز القواعد التفسيرية اللغوية

وتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحذف.

المبحث الثاني: التضمنين.

المبحث الثالث: الإطناب.

المبحث الرابع: هل يوجد ترادف في القرآن الكريم؟.

المبحث الخامس: الالتفات.

المبحث السادس: ضمير الفصل.

المبحث السابع: حوار التلقين.

المبحث الثامن: بدع التفسير في اللغة.

المبحث التاسع: النحو القرآني.

المبحث العاشر: تكرار النكرة والمعرفة: الدلالة والتفسير.

هذه القواعد ترجع إلى تنوع أساليب استعمال الكلام، وإثبات المعاني عند العرب، حيث يتميز الكلام العربي بالتفنن والافتنان أي الإتيان بفنون، وأنواع من الكلام، وهو ما سماه ابن جني رحمته (٣٩٢هـ): شجاعة العربية<sup>(١)</sup>، ويعني بذلك قدرة العربي الفصيح على التصرف بلغته، وقابلية اللغة للتصرفات المنضبطة التي جاءت عن العرب، وذكر شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) رحمته من فوائد ذلك: التطرية أي تجديد أسلوبه، وإبراز عرائس المعاني في حلة بعد حلة، وتنشيط السامع، وله فوائد خاصة بكل مقام<sup>(٢)</sup>.

### لعلك تسأل: ما قاعدة القواعد؟ وما القاعدة اللغوية الجامعة؟

#### قاعدة القواعد اللغوية:

نزل القرآن الكريم وفق لغة العرب وطرائقهم في الكلام، ويجب أن يحمل على ذلك في ألفاظه وأساليبه: كالحذف، والإطناب، والتضمنين، والإضمار والكناية، وغيرها<sup>(٣)</sup>:

كما قال ابن القيم رحمته: "الواجب أن يقال إن خطاب الله ﷻ في كل ما أمر به، ونهى عنه، وحمد أو ذم عليه، ووعد عليه بثوابه وعقابه خرج في ذلك كله مخرجاً عاماً كلياً بحسب ما تقتضيه جلاله الربوبية ومرتبة الملك والسلطان العام لجميع الخلق، ولو ترك المتأولون ألفاظه تجري على دلائلها الكلية وأحكامها العامة وظواهرها المفهومة منها، وحقائقها الموضوعية لها لأفادتهم اليقين،

(١) الخصائص (٢/٣٦٢).

(٢) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (١/١١٢).

(٣) انظر في أن الأصل عدم الحذف مثلاً: معني اللبيب (٢/٥٦٧)، المثل السائر (٢/٧٦).

وجزموا بمراد المتكلم بها، ولا نحسب بذلك مواد أكثر التأويلات الباطلة، والتحريفات التي تأبأها العقول السليمة"<sup>(١)</sup>.

وفي هذا القسم عدد من المباحث المتضمنة دراسة جملة من القواعد التي يحتاج إليها المفسر، وهي باختصار:

### القسم الرابع: من أبرز القواعد التفسيرية اللغوية

المبحث الأول:	المبحث الثاني:	المبحث الثالث:	المبحث الرابع:
الحذف	التضمن	الإطناب	الترادف
المبحث الخامس:	المبحث السادس:	المبحث السابع:	المبحث الثامن:
الالتفات	ضمير الفصل	حوار التلقين	بَدَعُ التفسير في اللغة
المبحث التاسع:	المبحث العاشر:		
النحو القرآني	تكرار النكرة والمعروفة: الدلالة والتفسير	<p>أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي</p> <p>الأساس والتنوير في أصول التفسير</p> <p>قرآن ينطق للإنسانية ترفيق</p>	

## المبحث الأول: الحذف

## المطلب الأول: الحذف، والتععيد له

مما يسبب الصعوبة في فهم الآيات وجود حذفٍ في الآية؛ إذ هو خلاف الأصل، ولذا ينبغي للمفسر معرفة هذا الباب ليتمكن من بلوغ الصواب في التفسير... ولنذكر بعضاً مما يتعلق به. وباب الحذف بابٌ معجزٌ في البيان القرآني، وقد قال فيه فارس علم الإعجاز البياني عبد القاهر الجرجاني رحمته الله: "هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذِّكر، أفصحَ من الذِّكر، والصمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتحدُّك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبَيِّن" <sup>(١)</sup>.

## لعلك تسأل: ما الحذف؟

الجواب: وقد عرّف الرّماني رحمته الله الحذف فقال: هو "إسقاط كلمة للاجترأ عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"، وقال تنمة لكلامه: "والحذف لا بد فيه من خلف يستغنى به عن المحذوف" <sup>(٢)</sup>، وهذا تعريف أولي، وقد يكون المحذوف جملة لا كلمة بالمعنى العربي.

## وربما تسأل: هل كل حذف مقبول؟ ما ضابط ذلك؟

## قاعدة: الأصل عدم الحذف فلا بد من دليل يقوم عليه:

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان - وفقه الله -:

وَعَدَمُ الْحَذْفِ هُوَ الْأَصْلُ فَلَا بُدَّ مِنَ الدَّلِيلِ فِيمَا اخْتِزَلَا

ولذا فإن أئمة اللغة يلجأون للحذف لجوءاً، ويرجحون التأويل الذي ليس فيه الحذف، كما في قول ابن هشام رحمته الله: "وقد أجزى الوجهان في قراءة الحرمين" <sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩]- أي بتخفيف أمن- وكون الهمزة فيه للنداء هو قول الفراء رحمته الله، ويبيعه أنه ليس في التنزيل نداء بغير يا، ويقربه سلامته من دعوى المجاز؛ إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، ومن دعوى كثرة الحذف؛ إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام: أمن هو قانت خير أم هذا الكافر، أي المخاطب بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزمر: ٨]، فحذف شَيْئَانِ: معادل الهمزة والخبر <sup>(٤)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز (١/ ١٤٦).

(٢) النكت في إعجاز القرآن (ص: ٧٠).

(٣) وهي قراءة حمزة أيضاً، قال ابن الجزري: "قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة بتخفيف الميم، وقرأ الباقون بتشديدها". النشر (٢/ ٣٦٢).

(٤) مغني اللبيب (١/ ١٨).

المطلب الثاني: من أدلة الحذف<sup>(١)</sup>

أدلة الحذف وشروطه



أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

الأساس والتنوير في أصول التفسير



ما أدلة الحذف؟ وما شروطه؟

الجواب: تسمى أدلة الحذف شروط الحذف، ولا بد من وجودها؛ لأن الحذف خلاف الأصل:

الأول: الدليل العقلي:

فستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف، كقوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، أي: مما جرت العادة أن تدمره الرياح، و"العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر"<sup>(٢)</sup>، ولكن يتوجب الحذر من الانسياق في اعتبار الأدلة العقلية للقول بالحذف؛ إذ ربما أفضى ذلك إلى تعطيل النصوص وتحريفها، وحملها على المعاني الباردة التي لا يستسيغها عاقل، ومثال ذلك ما ذكره الرازي رحمه الله عند تأويل تفسير قول الله تعالى ذكره: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا

(١) اعتمدت على تحرير ما ذكره ابن هشام في مغني اللبيب (ص: ٧٨٦)، والركشي في البرهان (٣/ ١٠٩)، والسيوطي في الإتقان (٢/

١٥٥)، والموصلي في المثل السائر (٢/ ٧٦)، والقزويني في الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٨٥، ص: ١٨٤).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٣٩).

صَفًّا ﴿ [الفجر: ٢٢]: "أن الرب هو المرئي، ولعل ملكًا هو أعظم الملائكة هو مرئي للنبي ﷺ جاء، فكان هو المراد من قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾" (١).

### الثاني: العادة الشرعية:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣]، أي: أكلها.

### الثالث: ذكر المحذوف في مكان آخر:

كما في قوله تعالى: ﴿وَجَتَّةٍ عَرَّضَهَا لِلسَّمَوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أي: كعرض، بدليل التصريح به في آية الحديد.

### الرابع: دلالة السياق عليه:

فكان الكلمة أو الكلام المحذوف مذكور في اللفظ، ولكنه حذف لفائدة، نحو: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ أي ابتدائي أو مبتدئي، وفائدة الحذف هنا "صلوحية البسمة لابتدئ بها كل شارع في فعل" (٢).

### ما أنواع دلالة السياق؟

الجواب: دلالة السياق نوعان:

**دلالة حالية:** كقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ [هود: ٦٩] أي سلمنا سلامًا.

**دلالة مقالية:** نحو وقوع الكلام جوابًا لكلام محذوف، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] أي أنزل ربكم خيرًا، أو وقوع الكلام جوابًا لسؤال مقدر: ويسمى الاستئناف البياني، كما في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧] "فمخرج هذا القول مخرج الاستئناف؛ لأن ذلك من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه وكأن قائلًا قال: كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه ﷺ بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي لوجهه بروحه؟ قيل: قيل ادخل الجنة، ولم يقل قيل له؛ لانصباب الغرض إلى المقول، لا إلى المقول له" (٣).

### أدلة الحذف عند ابن هشام:

### ما أنواع الحذف عند ابن هشام؟

الجواب: أرجع ابن هشام أدلة الحذف إلى نوعين:

أحدهما: غير صناعي، وينقسم إلى حالي ومقالي-ويمكن إضافة ما سبق إليهما-

والثاني صناعي: أي ما اختص أصحاب الصناعة النحوية بمعرفته، كتفصيلهم حول حذف المبتدأ والخبر، والمفعول به (٤).

(١) مفاتيح الغيب. (١٥٨/٣١).

(٢) التحرير والتنوير (١/٨٣).

(٣) المنفل السائر (٢/٧٧).

(٤) يراجع مغني اللبيب (٧٨٧/) لبيان أهمية وجود أدلة الحذف وشروطه؛ إذ تختل بنية الكلام العربي تمامًا بمجرد ادعاء الحذف، وبهذا حاول الباطنية والزنادقة إبطال دلالة اللفظ القرآني.

المطلب الثالث: فوائد الحذف<sup>(١)</sup>

## فوائد الحذف



أ.د. عبدالسلام مقبل المجيدي  
الأساس والتنوير في أصول التفسير



### ما فوائد الحذف؟

الجواب: الأصل أن النص القرآني مبني على الوضوح: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، فتذكر جملة تامة دون زيادة (إطناب) لا يحتاج إليها، ودون حذف يصعب فهمه، ولكن إذا كان كل منهما في موضعه اللائق فذلك تمام البيان، وجمال البلاغة العربية.

(١) تداخلت الفوائد والأسباب في ترتيب الباحث لأنها بطبيعتها متداخلة، بخلاف تفصيل الزركشي رحمته الله، كما لم أذكر إلا ما ذكر في الكتاب المجيد.

وأما وجه الفائدة في الإيجاز بال حذف فإنه - كما يقول الجرجاني رحمته الله - "عجيب الأمر شبيهه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيئاً إذا لم تُنْ" <sup>(١)</sup>.

ولذا فلا بد من معرفة فوائده التي اقتضت وجوده في أبلغ الكلام، ومنها:

(١) **التفخيم والإعظام** إذا كان المحذوف يستحق ذلك: ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فحذف الجواب؛ إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر من شأنه، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك؛ لقوله رحمته الله «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» <sup>(٢)</sup>.

(٢) **التحقير**: إذا كان يستحق الإهمال... والسياق هو الذي يحدد أي من هاتين الفائدتين هي التي يستحق أن يوصف بها المحذوف؟.

(٣) **التممية العقلية**: وذلك بسبب الحث على الاجتهاد والتدبر والاستنباط للمحذوف؛ ليستبين مكان الذين أوتوا العلم من غيرهم، وزيادة اللذة في فهم القرآن بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن <sup>(٣)</sup>.

(٤) **زيادة الأجر** بسبب الاجتهاد في تطلب المحذوف، بخلاف غير المحذوف <sup>(٤)</sup>.

(٥) **طلب الإيجاز والاختصار**، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل <sup>(٥)</sup>، إذا كان المحذوف معلوماً بالبديهة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [هود: ٣٥]، وكقوله تعالى: ﴿أَنِ اصْرَبَ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي فضربه فانفلق، "فذكره نوع من بيان الواضحات، فكان حذفه أحسن، فإن الوهم لا يذهب إلى خلافه" <sup>(٦)</sup>.

(٦) **التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف**، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير، نحو: إياك والشر، والطريق الطريق، والله الله وباب الإغراء وهو لزوم أمر يحمد به، وقد اجتمع في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣] على التحذير أي احذروا ناقة الله ﷻ فلا تقربوها، و(سقيها) إغراء بتقدير الزموا ناقة الله <sup>(٧)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز (ص: ١٢١)، المثل السائر (٢/ ٧٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٦)، الإتيان (٢/ ١٥٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٥)، الإتيان (٢/ ١٥٣).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٥)، الإتيان (٢/ ١٥٣).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٥)، الإتيان (٢/ ١٥٣).

(٦) الصواعق المرسله (٢/ ٧١٢).

(٧) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٥)، الإتيان (٢/ ١٥٤).

- (٧) التخفيف؛ لكثرة دورانه في كلامهم، كما حذف حرف النداء في نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] (١).
- (٨) تعميم المعنى ليشمل أكثر من حالة واحدة: كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَعَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] فقبل المعنى: وترغبون عن نكاحهن، وقيل: وترغبون في نكاحهن (٢).
- (٩) وذكروا من ذلك: رعاية الفاصلة: نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣] (٣)... ولا يرى الكاتب ذلك؛ إذ قد جاءت فواصل كثيرة على غير المعتاد في فواصل السورة، ولم يظهر فيها رعي للفاصلة كما في سورة طه... فلا يظهر هذا سبباً للحذف، أو فائدة من فوائد الحذف إذ فيه تغليب للفظ على المعنى.

المطلب الرابع: أقسام الحذف في القرآن مما يتعلق بالتفسير



## أقسام الحذف في القرآن مما يتعلق بالتفسير:



الأساس والتنوير في أصول التفسير

أ. عبد السلام مقبل المجيدي

ما أقسام الحذف في القرآن؟

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٧)، الإتيان (٢/ ١٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٩٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٧).

الجواب: ينقسم الحذف في القرآن مما يتعلق بالتفسير ما يأتي:

**الأول: الاقتطاع:** وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي، وأنكر صاحب (المثل السائر) ورود هذا النوع في القرآن العظيم، ولكن قيل: منه فواتح السور؛ لأن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى، كما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿الْم﴾: معناه أنا الله أعلم وأرى... وهذا التفسير فيه نظر ظاهر<sup>(١)</sup>، ولكن فيها حذفًا ظاهرًا لا لبس فيه هو ما عليه المحققون أن معناها: هذا الكتاب من جنس كلامكم، وحروفه هي حروفكم... فهل عندكم ما هو مثله، ولذا عدَّ الزمخشري الحذف حاصل فيها بهذا الموجب؛ إذ قال: "ففي الأولى الحذف، والرمز إلى الغرض بالطف وجه وأرشقه"<sup>(٢)</sup> وعنى الآية الأولى من البقرة.

**الثاني: الاكتفاء:** وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر، ولا بد من فائدة في ذكر المذكور والاقتصار عليه.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] فإنه قيل: المراد وما تحرك في النهار، وإنما أثر ذكر السكون؛ لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن الساكن أكثر عددًا من المتحرك، أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون، ولأن السكون هو الأصل، والحركة طارئة.

**الثالث: أن يستدل بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما فيضمُر للآخر فعل يناسبه (هو ما يعرف بالتضمنين):** كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] أي واعتقدوا الإيمان. **الرابع: أن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما لأنه المقصود:** كقوله تعالى -حكاية عن فرعون-: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٩]، ولم يقل وهارون عليه السلام؛ لأن موسى عليه السلام المقصود المتحمل أعباء الرسالة.

**الخامس: أن يذكر شيئين ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر:** كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] قال الزمخشري عليه السلام: تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوًا انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه<sup>(٣)</sup>... وفائدة الحذف هنا: أن التجارة -كما يقول الراغب عليه السلام- "لما كانت سبب انفضاض الذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها، ولأنه قد تشغل التجارة عن العبادة ما لا يشغله الله"<sup>(٤)</sup>، و"لأنها أجذب للقلوب عن طاعة الله من الله؛ لأن المشتغلين بالتجارة أكثر من المشتغلين بالله، أو لأنها أكثر نفعًا من الله، أو لأنها كانت أصلًا واللهو تبعًا"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٢).

(٢) الكشاف (١/ ١٧).

(٣) الكشاف (٤/ ٩٩).

(٤) تفسير الراغب (١/ ١٧٧).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٢١)، الإتيان (٢/ ١٦٤).

**السادس: الحذف المقابلي:** ويسمى الاحتباك<sup>(١)</sup>: "من الحبك، الذي معناه الشد والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب"<sup>(٢)</sup>، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه... والفائدة هنا الاختصار غالباً... كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥] الأصل فإن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون، وهذا النوع يظهر أن دخوله في الاكتفاء أوفق وأرفق من التشبيت.

(١) البرهان في علوم القرآن (١٢١/٣)، الإتيقان (١٦٤/٢).

(٢) الإتيقان (١٦٥/٢).

**المطلب الخامس: أقسام الحذف عند ابن الأثير رحمته****اذكر أقسام الحذف عند ابن الأثير رحمته.**

الجواب: قسم ابن الأثير رحمته أنواع المحذوف إلى: حذف الجمل، وحذف المفردات على تفصيل مستملح، وجعل حذف المفردات على أربعة عشر ضرباً<sup>(١)</sup>، وأشير هنا إلى ذلك إشارة دون إطناب:

**القسم الأول عند ابن الأثير رحمته: حذف المفردات:**

فحذف المفردات نحو: حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه: وهو كثير قال ابن جني رحمته: وفي القرآن منه زهاء ألف موضع، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] أي شعر الرأس، ومنه حذف الحرف: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي إلى الخيرات<sup>(٢)</sup>، ولعل النكتة فيه: أنه جعل الخيرات مضمراً للسباق؛ لتكون أبلغ في الدلالة على المسابقة إليها.

**القسم الثاني عند ابن الأثير رحمته: حذف الجمل:**

ومثال حذف الجمل: قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: ٤٠-٤٢] أي يتذاكرون شأن المجرمين، فيقول من علموا شأنهم سألناهم هم فقلنا: ما سلككم في سقر<sup>(٣)</sup>.

مثال على حذف أكثر من جملة: قوله تعالى ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾

[البقرة: ٧٣] أي فضربه ببعضها، فحيي، فقلنا: كذلك يحيي الله الموتى<sup>(٤)</sup>.

**المطلب السادس: الفاء الفصيحة والحذف****ما المراد بفاء الفصيحة؟ وما علاقتها بالحذف؟**

الجواب: يصف كثير من المفسرين نوعاً معيناً من الفاءات بأنها الفاء الفصيحة... فوجب التعرف على هذا الاصطلاح عندهم... وملخص تعريفها:  
هي الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفاً على المذكور قبلها، فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفاً عليه... وهذه طريقة السكاكي رحمته فيها، وهي المثلى.

وقيل: إنها تدل على محذوف قبلها، فإن كان شرطاً فالفاء فاء الجواب، وإن كان مفرداً فالفاء عاطفة، ويشملها اسم فاء الفصيحة، وهذه طريقة الجمهور. وعلى الوجهين فتسميتها بالفصيحة؛ لأنها أفصح عن محذوف.

(١) انظر: المغل السائر (٢/ ٧٦).

(٢) فتح القدير (١/ ٢٤٢).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٦٨).

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٨٣).

مثالها: قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] أي فضرب، فانفجرت... وفائدة الحذف مع الإيجاز هنا ظهور أن موسى عليه السلام ليس ممن يشك في امتثاله<sup>(١)</sup>.

### خصائص فاء الفصيحة:

#### اذكر بعض خصائص فاء الفصيحة.

(١) تفيده الإلزام بما بعدها، أي تدل على أن لا مناص للمواجه بها من التزام مدلول جواب شرطها المحذوف، كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] فالفاء هنا هي فاء الفصيحة، "وضمير الغائب عائد إلى (أحدكم)، أو يعود إلى (لحم)، والكرهية هنا: الاشمئزاز والتقدير. والتقدير: إن وقع هذا أو إن عرض لكم هذا فقد كرهتموه، والمعنى: فتعين إقراركم بما سئلتم عنه من الممثل به - إذ لا يستطيع جرده - تحققت كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أن تكرهوا نظيره الممثل، وهو الغيبة"<sup>(٢)</sup>.

(٢) وقد تحذف الفاء ذاتها، كما قال الألوسي رحمته الله في قوله تعالى: ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، "في الكلام إيجاز الحذف بحذف الفاء الفصيحة، والمعطوف عليه أي: استفتحوا، ففتح لهم، وظفروا بما سألوا وأفلحوا، وخاب كل جبار عنيد، وهم قومهم المعاندون"<sup>(٣)</sup>.

(٣) تفيده وجود شرط محذوف كثيرا، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ "الفاء الأولى فصيحة و(أما) تفيده شرطاً مقدراً تقديره: مهما يكن من شيء، فكان مفادها مشعراً بشرط آخر مقدر، هو الذي اجتلبت لأجله فاء الفصيحة، وتقدير نظم الكلام إذ كنت تعلم ذلك وأقررت به فعليك بشكر ربك، وبين له الشكر بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]"<sup>(٤)</sup>.

(٤) سميت فاء الفصيحة بذلك؛ "لأنها يستدل بها على فصاحة المتكلم، وهذا إنما سموها بها على رأي الزمخشري رحمته الله"<sup>(٥)</sup>، ولأنها تفصح عن المقدر<sup>(٦)</sup>.

### لعلك تسأل: ما الفرق بين فاء الفصيحة وفاء التفریع؟

(١) التحرير والتنوير (١/٢٩٧)، وانظر: عمدة القاري (١/٢٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/٢٥٥)، وانظر: مغني اللبيب (١/٢٢٢).

(٣) روح المعاني (١٣/٢٠١).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/٤٠١).

(٥) عمدة القاري (١/٩٠)، وأشار إليها اللغويون كابن هشام رحمته الله، ولكن بدون هذه التسمية... انظر مثلاً: مغني اللبيب (١/٢٤٤)، (١/٨٠).

(٦) (١/٨١)، حيث أشار إليها في مواضع متفرقة، وذكرها بدون التسمية أثناء تفصيله عن استخدامات الفاء في (١/٢٢١).

(٦) عمدة القاري (١٣/١٨).

**الفرق بين الفاء الفصحية وفاء التفریع:**

فاء التفریع تختلف عن الفاء الفصحية؛ إذ لا حذف في جملتها غالبًا، بل تفيد التفریع المترتب على الأمر المذكور قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥] "بواو العطف في سورة البقرة، وقوله في الأعراف ﴿فَكَلَّا﴾ بفاء التفریع، وكلاهما مطابق للمقام، فإنه أمر ثان، وهو أمر مفرع على الإسكان، فيجوز أن يحكي بكل من الاعتبارين" (١).

وما بعد فاء التفریع يكون مسببًا عما قبلها، كما في المثال السابق (٢)، وكما في قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

ولذا تقوم (إن) مقامها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] فإن الجملة "مستأنفة استثنافًا بيانيًا؛ لأنهم علموا أن إعادتهم السؤال توقع في نفس موسى ﷺ تساؤلًا عن سبب هذا التكرير في السؤال، وقولهم إن البقر تشابه علينا اعتذار عن إعادة السؤال... وقد جيء بحرف التأكيد في خبر لا يشك موسى ﷺ في صدقه فتعين أن يكون الإتيان بحرف التأكيد مجرد الاهتمام، ثم يتوسل بالاهتمام إلى إفادة معنى التفریع والتعليل، فتفيد (إن) مفاد فاء التفریع والتسبب" (٣)... ومن هذا الوجه أشبهت الفاء الفصحية وتلاقت معها أحيانًا؛ إذ الاستئناف البياني يقتضي سؤالًا محذوفًا دل عليه الجواب المذكور.

**هل تفيد فاء التفریع ما تفيد الفاء الفصحية؟**

وقد تفيد فاء التفریع ما تفيد الفاء الفصحية، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق: ٥-٧) إذ يقول الطاهر بن عاشور ﷺ: "الفاء لتفریع الأمر بالنظر في الحلقة الأولى على ما أريد من قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] من لوازم معناه وهو إثبات البعث الذي أنكروه على طريقة الكناية التلويحية الرمزية، كما تقدم آنفًا، فالتقدير: فإن رأيتم البعث محالًا فلينظر الإنسان مم خلق؛ ليعلم أن الخلق الثاني ليس بأبعد من الخلق الأول، فهذه الفاء مفيدة مفاد فاء الفصحية" (٤).

**أسئلة تفويمية:**

- س١: ما الحذف؟ واذكر أهميته.
- س٢: ما شروط الحذف؟
- س٣: كم أنواع دلالة السياق؟ اذكرها ومثل لكل نوع.
- س٤: ما أنواع الحذف عند ابن هشام ﷺ؟
- س٥: ما فوائد الحذف؟

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٦).

(٢) تكلم عنها ابن هشام في ﷺ، مغني اللبيب (١/ ٢١٥) دون تسميتها فاء التفریع، والتسمية كفاء الفصحية مصطلح تفسيري.

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣١٨).

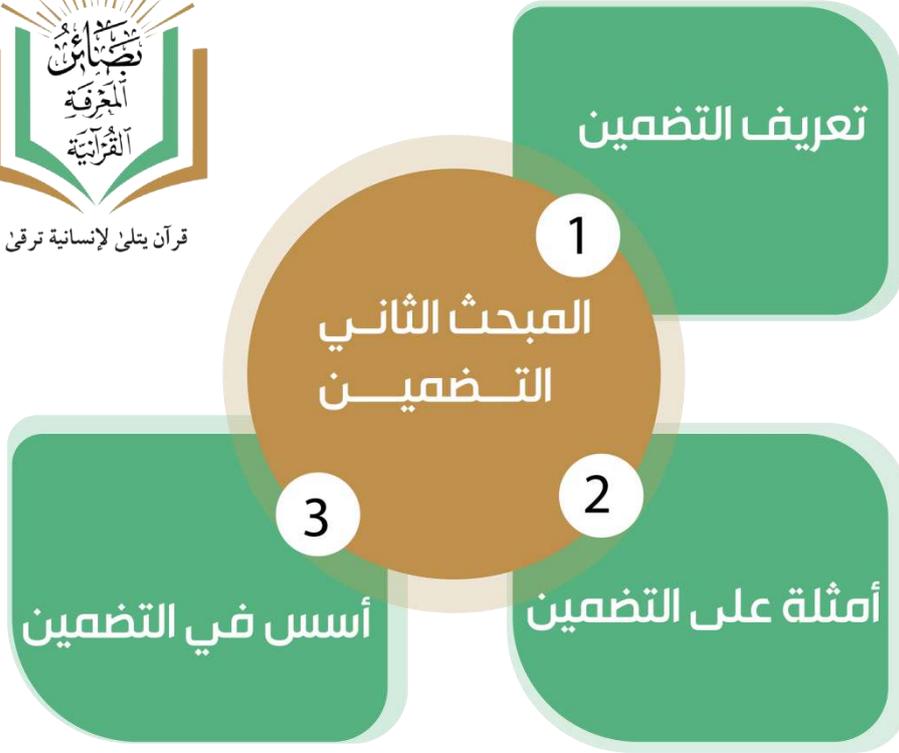
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٣).

- س٦: اذكر أقسام الحذف عند ابن الأثير رحمته الله.
- س٧: ما المراد بفاء الفصيحة؟ وما علاقتها بالحذف؟
- س٨: اذكر بعض خصائص فاء الفصيحة.
- س٩: ما الفرق بين فاء الفصيحة وفاء التفرع؟

## المبحث الثاني: التضمن



قرآن يتلى لإنسانية ترقى



الأساس والتنوير في أصول التفسير

أ.د. عبدالستار محمد المجيدي

ويتضمن المطالب الآتية:

- المطلب الأول: تعريف التضمن.
- المطلب الثاني: أمثلة على التضمن.
- المطلب الثالث: أسس في التضمن.

**المطلب الأول: تعريف التضمن**

التضمن نوع من الحذف عند كثير من المفسرين والبلاغيين، وأُفردَ هاهنا لأهميته:

**ما المراد بالتضمن؟**

الجواب: **تعريف التضمن:** هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر بقريئة تدل عليه، أي أن يُضَمَّنَ الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر، ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول، فيحصل في الجملة معنيان<sup>(١)</sup>، ويقعد ابن هشام رحمته لذلك، فيقول: "قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويُسمى ذلك تضميناً، وفأئدتَه أن تُؤدِّي كلمة مؤدى كَلِمَتَيْنِ، قَالَ

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٩)، وانظر: الإفتان (٢/ ١٤٦).

الرَّحْمَنِيَّ ﷺ: "ألا ترى كيف رجع معنى ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] إلى قولك ولا تقتحم عينك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] أي ولا تضموها إليها آكلين" (١).

وعلى هذا يمكن كتابة القاعدة الآتية:

**قاعدة: تتضمن الأفعال معاني آخر غير ظاهرها إذا عدت بغير حرفها المعتاد.**

**اذكر مثلاً على هذه القاعدة.**

الجواب: مثال ذلك في قول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا...﴾ [آل عمران: ٨٤]، فالخطاب للنبي ﷺ مُوجَّه، وعُدِّي فعل الإنزال بـ(على)، لأنه من أعلى إلى أسفل، بخلاف آية البقرة: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ [البقرة: ١٣٦]، فإن الخطاب لصحابته ﷺ، ثم لأمته - من بعد - والإنزال لا يكون عليهم؛ لأنه نزل على السيد الرسول الأمين ﷺ؛ ولذا لم يقل: عليهم، بل قال: إليهم، مع أن الفعل نزل إنما يتعدى بـ(على)، فعُدَّاه هنا بـ(إلى)، وذلك ليضمَّن حرف (إلى) معنى المجاورة، ويجعل فعله يتضمن معنى الإيصال، فليس ثمَّ أعلى ولا أدنى، كأنهم قالوا: آمنا بالله، وما أنزل على رسوله مما وصل إلينا. فقد تضمن الفعل: (أنزل) والحرف (إلى) ذلك ببلاغةٍ بديعة، وإعجازٍ عظيم، ومن أسرارهم أنهم جعلوا - بهذا التعبير - ما أنزل على الرسول ﷺ هو ذاته ما وصل إليهم دون ريب... (٢).

**المطلب الثاني: أمثلة على التضمين**

**اذكر بعض الأمثلة التي ذكرها ابن هشام ﷺ للتضمين.**

الجواب: ذكر ابن هشام ﷺ للتضمين أمثلة متعددة منها:

قوله تعالى جده ﴿الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ضمن الرفث معنى الإفضاء فعُدِّي بـ(إلى) مثل: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١] وَإِنَّمَا أَصْلُ الرَّفَثِ أَنْ يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ يُقَالُ أَرَفَثَ فُلَانٌ بِامْرَأَتِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] أَيْ فَلَنْ يَجْرِمُوهُ، أَيْ فَلَنْ يَجْرِمُوا ثَوَابَهُ، وَهَذَا عُدِّي إِلَى اثْنَيْنِ لَا إِلَىٰ وَاحِدٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا عُدَّةَ التِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أَيْ لَا تَنَوَّأُوا، وَهَذَا عُدِّي بِنَفْسِهِ لَا بـ(على)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الصفوات: ٨] أَيْ لَا يَصْغُونَ، وَقَوْلُهُمْ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ أَيْ اسْتَجَابَ فَعُدِّي يَسْمَعُ فِي الْأَوَّلِ بـ(إلى) وَفِي الثَّانِي بِاللَّامِ، وَإِنَّمَا أَصْلُهُ أَنْ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، مِثْلُ: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ [ق: ٤٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] أَيْ يُجَمِّزُ؛ وَهَذَا عُدِّي بـ(من) لَا بِنَفْسِهِ (٣).

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ص: ٨٩٧).

(٢) انظر: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم (ص: ٩٠).

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (٢/ ٧٦٣).

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان -وفقه الله-:

تَضَمَّنَ الْفِعْلُ إِذَا عُذِّي بِحَرْفٍ غَيْرِ حَرْفِهِ مَعَانِي أُخْرَ

### المطلب الثالث: أسس في التضمين

#### فائدة التضمين:

إعطاء مجموع معنيين بكلمة واحدة أو تركيب واحد، وذلك أقوى من إعطاء معنى<sup>(١)</sup>، وهو من بديع الإيجاز في القرآن ويتكرر كثيراً، ويرجع إلى إيجاز الحذف.

#### الفرق بين الحذف والتضمين:

يلخص العلاقة بينهما ابن هشام رحمته الله، فيقول: "الحذف والتضمين وإن اشتركا في أنهما خلاف الأصل، لكن في التضمين تغيير معنى الأصل، ولا كذلك الحذف"<sup>(٢)</sup>.

#### قاعدة: التضمين مقدم على تناوب الحروف:

وهذا مذهب المحققين من أهل العلم كما يقول الزركشي رحمته الله<sup>(٣)</sup>.

#### من أمثله:

تعديّة الفعل ﴿أَتَأَقَلَّتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَأَقَلَّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨] بـ(إلى)؛ لتضمنه معنى "مال" و"أخلد"، فكأنه قيل: إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله ملتم وأخلدتم إلى الأرض، أي أنجذبتم نحوها، كما قال الزمخشري رحمته الله: "وضمن معنى الميل والإخلاق فَعُدِّي بـ(إلى)، والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها، ونحوه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]"<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فقد ذكر المفسرون أن فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة، وبحرف إلى تارة، وباللام تارة في القرآن الكريم:

فمن المَعْدَى بنفسه هذه الآية، وقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، ومن المعدي بـ(إلى) قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ومن المعدي باللام قوله في قول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

**وذكروا لذلك قاعدة:** فقالوا: الفعل المَعْدَى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر: نحو رغبت عنه ورغبت فيه، وأن تفاوت معنى الأدوات عسر الفرق، نحو: هديته إلى كذا، وهديته لكذا، وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، ففعل الهداية متى عُذِّي بـ(إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية.

ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت هديته لكذا فهم معنى ذكرته له، وجعلته له، وهياته، ونحو هذا.

(١) المثل السائر (٢/ ٣٢٦)، مغني اللبيب (٢/ ٦٧٨)، تفسير النسفي ٣/ ١٢.

(٢) مغني اللبيب (١/ ٢٩٩).

(٣) انظر: البرهان (٣/ ٣٣٨).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٤٨٤).

وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله وهو التعرف والبيان والإلهام والإيصال. فالقائل إذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو طالب من الله ﷻ أن يعرفه إياه، ويبيئه له، ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف وأتى به معدى بنفسه؛ ليتضمن هذه المراتب كلها<sup>(١)</sup>.

ونقل ابن عاشور ﷺ بخصوص هذا الفعل فرقا آخر عن بعضهم هو: أن المتعدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه؛ ليزداد هدى، ومصدره حينئذ الهداية، وأما هداه إلى كذا أو لكذا فيستعمل لمن لم يكن سائرا في الطريق، ومصدره هدى<sup>(٢)</sup>، ويمكن في الآية: أن نستفيد الأمرين معا اللذين ذكرهما ابن القيم، وابن عاشور -رحمهما الله-: أن فعل هدى هنا؛ لأنه متعد بنفسه فقد شمل من معاني الهداية: الدلالة، والتعرف، والبيان والإلهام، الإيصال إلى البغية، والثبات والزيادة، وأن التعدية هنا لبيان من قام بالهداية تعظيما له، واحتياجا لمدده، ومن وقع عليه افتقارا وتذلا. وهذا التحليل الدلالي لتطلب ثمرة توظيف مبحث التضمن وأبعاده الاستهدائية بالنص القرآني مما ضعف حضوره لدى غالب المفسرين الذي شغلوا بالجانب اللفظي على حساب المنزح الدلالي، ولك أن تراجع صنيع مفسر محقق كابن عطية ﷺ وهو يتناول فعل (هدى)؛ إذ يكفي بتعليقه على ذلك بقوله: "إذ هدى يصل بنفسه إلى مفعوله الثاني وبحرف الجر، فهو فعل متردد"<sup>(٣)</sup>.

### أسئلة تقويمية:

- س ١: ما المراد بالتضمن؟
- س ٢: اذكر بعض الأمثلة التي ذكرها ابن هشام ﷺ للتضمن.
- س ٣: ما فائدة التضمن؟
- س ٤: اذكر الفرق بين الحذف والتضمن.
- س ٥: اشرح قاعدة: "التضمن مقدم على تناوب الحروف"، واذكر بعض الأمثلة عليها.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٨).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ١٠٨)، ونقل السيوطي ﷺ عن ابن هشام ﷺ نحوه في الإتيان (٢/ ١٥٦).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٣٩٢).



وهذا الباب ينتمي إلى علم المعاني، وعلم المعاني هو العلم الثاني من علوم البلاغة، ولخص عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري (المتوفى: ٩٨٣ هـ) رحمته الله في (الجوهر المكنون) تعريف الإطناب من خلال جمعه مع أخويه: الإيجاز والمساواة، فقال:

تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِلَفْظٍ قَدَرِهِ	هِيَ الْمُسَاوَاةُ كَسِرِّ بِذِكْرِهِ
وَبِأَقَلِّ مِنْهُ إِيجَازٌ عُلْمٌ	وَهُوَ إِلَى قَصْرِ وَحَذْفٍ يَنْقَسِمُ
كَعَنْ مَجَالِسِ الْفُسُوقِ بُعْدًا	وَلَا تُصَاحِبُ فَاسِقًا فَتَرْدَى
وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ بِالْإِطْنَابِ	كَالزَّمِ رَعَاكَ اللَّهُ قَرَعَ الْبَابِ
يَجِيءُ بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ اللَّبْسِ	لِشَوْقٍ أَوْ تَمَكُّنٍ فِي النَّفْسِ
وَجَاءَ بِالْإِيغَالِ وَالتَّذْيِيلِ	تَكْرِيْرٍ اغْتِرَاضٍ أَوْ تَكْمِيلِ
يُدْعَى بِالْإِحْتِرَاسِ وَالتَّتَمِيمِ	وَقَفْوِ ذِي التَّخْصِيصِ ذَا التَّعْمِيمِ

### المطلب الثاني: فائدة الإطناب

#### وقد تسأل: فما فائدة الإطناب، خاصة أن الإعجاز مبني على الإيجاز؟

الجواب: كما أن الإيجاز بلاغة لفائدة، فكذلك الإطناب هو بلاغة ما دام لفائدة، والبليغ يجمع بين الأمرين، كما قال الزمخشري رحمته الله: "كما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشيع"<sup>(١)</sup>.  
وقد يجتمع الإيجاز والإطناب في مكان واحد في مظهر إعجازي بياني، كما في الآية الثانية من سورة البقرة ف: "إن وقفت على كلمة ﴿رَيْبَ﴾ [البقرة: ٢] كان من قبيل إيجاز الحذف، أي: لا ريب في أنه الكتاب، فكانت جملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ابتداء كلام، وكان مفاد حرف "في" استنزال طائر المعاندين، أي: إن لم يكن كله هدى، فإن فيه هدى. وإن وصلت ﴿فِيهِ﴾ كان من قبيل الإطناب"<sup>(٢)</sup>... وهو واضح.

#### قاعدة: لا يوجد إطناب في القرآن إلا لفائدة، فالإطناب في القرآن إيجاز:

اذكر مثلاً على صنيع الإمام الطبري رحمته الله في صوغ القواعد الترجيحية. وما علاقة ذلك بالقاعدة التي معنا.

الجواب: فلا بد من التماس اللفظة البيانية في الإطناب عند تفسير الآية التي ورد فيها، وللطبري رحمته الله مهيعٌ فسيحٌ في وضعه لقواعد ترجيحية لما ينقله من أقوال القوم الراسخين في معاني الآيات، ومن هذه القواعد قاعدة تشبه ما قررناه؛ إذ يرى أن الله عز وجل لا يذكر كلمة دون أن يكون لها معنى

(١) الكشاف (١/ ٣٦)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٨٦)، المثل السائر (٢/ ١٢٠)، خزنة الأدب (٢/ ٤٨٢).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٦).

مستقل في ذاتها، فليست لمجرد تزيين الكلام، ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ ردَّ على من زعم أن معنى (القدس) في قوله ﷻ: ﴿وَأَيَّدْتُهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] هو الإنجيل، وعزَّز رده بذكر قوله تعالى جده: ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠]، واسمع إلى تنظيره الجميل، وإدراكه العميق لحقيقة الكلام الإلهي: "فلو كان الروح الذي أيده الله ﷻ به هو الإنجيل، لكان قوله: ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، تكرير قول لا معنى له. وذلك أنه على تأويل قول من قال: معنى ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، إنما هو: إذ أيدتك بالإنجيل: وإذ علمتك الإنجيل؛ وهو لا يكون به مؤيداً إلا وهو مُعلِّمُه، فذلك تكرير كلام واحد، من غير زيادة معنى في أحدهما على الآخر. وذلك خُلف من الكلام، والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة. وإذ كان ذلك كذلك، فبيِّن فساد قول من زعم أن "الروح" في هذا الموضوع، الإنجيل، وإن كان جميع كتب الله ﷻ التي أوحاها إلى رسله روحاً منه؛ لأنها تحيا بها القلوب الميتة، وتنتعش بها النفوس المولية، وتهتدي بها الأحلام الضالة"<sup>(١)</sup>.

### كيف بيّن الدكتور دراز هذه القاعدة؟

ويبين هذه القاعدة الدكتور محمد عبد الله دراز ﷻ؛ إذ إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، فيستوي مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب، ولذلك نسميه إيجازاً كله لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلي بأقل من ألفاظه، ولا بما يساويها، فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى... فإن عمي عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون، ولكن قل قولاً سديداً هو أدنى إلى الأمانة والإنصاف، قل الله أعلم بأسرار كلامه، ولا علم لنا إلا بتعليمه، ثم إياك أن تركز إلى راحة اليأس فتتعد عن استجلاء تلك الأسرار قائلاً أين أنا من فلان وفلان؟... فجد في الطلب وقل رب زدني علماً، والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور"<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان -وفقه الله-:

وليس في القرآن إطنابٌ بلا فائدة، فالوحي من حشوٍ حلاً  
يُعتَبَرُ الإطنابُ إيجازاً فلا أبلغ أو أكمل ممَّا نزلًا

(١) تفسير الطبري (٢/ ٣٢٢).

(٢) النبا العظيم (ص: ٩٩)، ونقله عنه صاحب مناهل العرفان (٢/ ٢٣٥).

## المطلب الثالث: أقسام الإطناب:



الإطناب قيل بمعنى الإسهاب، والحق أنه أخص منه، فإن الإسهاب التطويل لفائدة أو لغير فائدة<sup>(١)</sup>.

### اذكر أقسام الإطناب.

الجواب: وينقسم الإطناب إلى بسط وزيادة:

#### الأول: الإطناب بالبسط:

وله مظاهر متعددة منها الإطناب:

(١) بتكثير الجمل التي قد تدخل في أمر عام مذكور في أول الآية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ...﴾ الآية (البقرة: ١٦٤) "أطنب فيها أبلغ الإطناب؛ لكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل، والموافق منهم والمنافق"... فأطنب مع أن الجملة الأولى كافية عما بعدها لأنها تعمها

عند التأمل، ولكن لما كان المقام مقام إثبات القدرة الإلهية كان الإطناب هنا بلاغة، وبيان يقرر الإيمان ويجعل القارئ يزداد تأملاً في تلك المخلوقات التي تدل على خالقها البديع سبحانه.

(٢) بتوصيف الأحوال "التي يراد بتفصيل وصفها إدخال الروح في قلب السامع... كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٣٨﴾ وَالتَّقَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣٩﴾ [القيامة: ٢٦-٢٩]"<sup>(١)</sup>.

(٣) وضع الظاهر موضع المضمرة؛ لزيادة التقرير... وعليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ...﴾ [التوبة: ٦١]، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦١] ولم يقل يؤذونه، وذكره بوصفين للتعظيم فالجمع بين الوصفين، كقوله ﷺ: «ونبيك الذي أرسلت»<sup>(٢)</sup>.

(٤) "بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه؛ تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]"<sup>(٣)</sup>.

#### الثاني: الإطناب بالزيادة:

(١) يكون بزيادة كلمة حرفاً كانت، أو اسماً، أو فعلاً...<sup>(٤)</sup>.

اذكر مثلاً على الإطناب بالزيادة، وهل يصح عد بعضهم الكاف زائداً في قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛

الجواب: ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فحرف الكاف الذي يعده البعض زائداً للتوكيد محتفظ في الحقيقة بقوة دلالاته، ولو سقط منها لسقطت معه دعامة المعنى، أو لتهدم ركن من أركانه، ونحن نبين لك هذا من طريقين:

**الأول:** لو قيل ليس مثله شيء لكان ذلك نفيًا للمثل المكافئ، وهو المثل التام المماثلة فحسب؛ إذ إن هذا المعنى هو الذي ينساق إليه الفهم من لفظ المثل عند إطلاقه وإدخاله إلى النفس ديبب الوسوس والأوهام أن لعل هنالك رتبة لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها، وأن عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء أو للكواكب وقوى الطبيعة أو للجن والأوثان والكهان فيكون لهم بالإله الحق شبه ما في قدرته أو علمه، وشرك ما في خلقه أو أمره، فكان وضع هذا الحرف في الكلام إقصاء للعالم كله عن المماثلة، وعمما يشبه المماثلة وما يدنو منها، كأنه قيل ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلاً لله، فضلاً عن أن يكون مثلاً له على الحقيقة، وهذا باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى، على حد قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٢)، والحديث في البخاري (٦٣١٥).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٨٨).

(٤) انظر مثلاً: الإتيان (٢/ ١٧٣).

**الثاني:** نفي الشبيه وإن كان يكفي لأدائه أن يقال: (ليس كالله شيء) أو (ليس مثله شيء)، لكن هذا القدر ليس هو كل ما ترمي إليه الآية الكريمة، بل إنها كما تريد أن تعطيك هذا الحكم تريد في الوقت نفسه أن تلفتك إلى وجه حجتك وطريق برهانه العقلي. ألا ترى أنك إذا أردت أن تنفي عن امرئ نقيصة في خلقه، فقلت: (فلان لا يكذب، ولا يبخل)، أخرجت كلامك عنه مخرج الدعوى المجردة عن دليلها. فإذا زدت فيه كلمة فقلت: (مثل فلان لا يكذب، ولا يبخل)، لم تكن بذلك مشيراً إلى شخص آخر يماثله مبراً من تلك النقائص، بل كان هذا تبرئة له هو ببرهان كلي، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كذلك... على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الكريمة الحكيمة قائلة: (مثلته تعالى لا يكون له مثل) تعني... إن من كانت له تلك الصفات الحسنى وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه... فكأننا بما تقول لنا: إن حقيقة الإله ليس من تلك الحقائق التي تقبل التعدد والاشتراك والتماثل في مفهومها، كلا! فإن الذي يقبل ذلك إنما هو الكمال الإضافي الناقص، أما الكمال التام المطلق الذي هو قوام معنى الإلهية فإن حقيقته تأبى على العقل أن يقبل فيها المشابهة والاثنية... .

أرأيت كم أفدنا من هذه الكاف وجوهًا من المعاني، كلها شاف كاف" (١).

### اذكر مثلاً على الإطناب بال تكرار.

(٢) **ومن الإطناب بالزيادة التكرار:** كما في قوله تعالى: ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المسلمات) "مكرر عشر مرات؛ لأن كل واحد منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فلا يكون تكراراً مستهجنًا، ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض... ولأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب أَدعى إلى إدراك البغية من الإيجاز" (٢).

(١) هذا التحرير البديع لمعنى الكاف هو من مبتكرات الدكتور الجليل محمد عبد الله دراز رحمته الله في النبأ العظيم (ص: ٩٩) بتصرف، ونقله عنه صاحب مناهل العرفان (٢/ ٢٣٦).

(٢) أسرار التكرار في القرآن (ص: ٢١٣).

## أسئلة تفويمية:

- س ١: ما الإطناب لغة واصطلاحاً؟
- س ٢: ما فائدة الإطناب، خاصة أن الإعجاز مبني على الإيجاز؟
- س ٣: اذكر مثلاً يوضح هذه القاعدة: (لا يوجد إطناب في القرآن إلا لفائدة، فالإطناب في القرآن إيجاز).
- س ٤: اذكر أقسام الإطناب، مع ذكر مثال لكل قسم.
- س ٥: عدد مظاهر الإطناب بالبسط.
- س ٦: يعد البعض الكاف زائداً في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فما معنى ذلك؟ وهل يصح أن يوصف شيء من القرآن بالزيادة؟

المبحث الرابع: الترادف: هل يوجد الترادف في القرآن؟



أدب عبد السلام مقبل المجيدي

الأساس والتنوير في أصول التفسير



ويندرج تحته المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الترادف.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في وجود الترادف.

المطلب الثالث: الترادف وحديث الأحرف السبعة.

المطلب الرابع: (الإعجاز) البياني في استعمال المفردات اللغوية بأبي الترادف.

المطلب الخامس: الفارسي وابن جني - رحمهما الله تعالى - والقول بالترادف.

المطلب السادس: البيان القرآني العالي الحكيم المحكم والترادف.

المطلب السابع: ركائز في سبيل تحرير محل النزاع.

المطلب الثامن: الكتب التي ألفت في الترادف في القرآن الكريم.

## المطلب الأول: تعريف الترادف

## ما المراد بالترادف لغة واصطلاحًا؟

الجواب: الترادف مأخوذ من الرَدْف، وهو ما تبع الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] أي متتابعين، أي: بعضهم إثر بعض، وهذا لا يعني الاتحاد بين التابع والمتبوع، بل لكل منهم شخصيته المستقلة، وهو في عرف الأصوليين: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، وذلك كالإنسان والبشر، والأسد والليث<sup>(١)</sup>.

## ما الفرق بين المترادف والمتواطئ والمتكافئ؟

الجواب: فرق الرازي رحمته بين المترادف وما يقرب منه، فعرف المترادفات بأنها: الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد.

وعرف الألفاظ المتواطئة بأنها: تنطلق على أشياء متغايرة بالعدد متفقة في المعنى كاسم الرجل.

وعرف الألفاظ المتكافئة بأنها ما تدل على متحد بالذات متباين في الصفات كأسماء الله.

## من أول من أطلق هذا المصطلح؟

الجواب: إطلاق الترادف على توالي الألفاظ الدالة على مسمى واحد إطلاق متأخر، ولعل أول من أطلقه وألف فيه أبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ) رحمته في كتابه (الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى)، مع أنه لم يتعرض له بتعريف<sup>(٢)</sup>.

القاعدة الخامسة من القواعد اللغوية: الأصل عدم الترادف بين الكلمات<sup>(٣)</sup>، و«الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن: فإما نادرٌ، وإما معدوم»<sup>(٤)</sup>.

## المطلب الثاني: أقوال العلماء في وجود الترادف

## اذكر أقوال العلماء في وجود الترادف.

الجواب: للعلماء هنا مذهبان شهيران:

(١) الإجماع شرح المنهاج (٢٣٨/١)، إجابة السائل شرح بغية الأمل (ص: ٢٦٤)، وانظر: إرشاد الفحول (ص: ٢٩)، المحصول (٣٤٧/١)،

وقال السيوطي رحمته في الكوكب الساطع (ص: ٨١) مبيِّنًا العلاقات بين اللفظ والمعنى:

الَلْفُظُّ وَالْمَعْنَى ذَوَا اتِّحَادٍ... قَدْ يَمْنَعُ التَّشْبِيهُ فِي الْمُرَادِ  
كَعَلِمٍ مَّا لِمَعْنَى وَضِعَ... لَمْ يَتَنَاوَلْ عَيْبُهُ كَمَا أُتِيَ  
فَإِنْ يَأْتِي التَّعْيِينَ حَارِجِيًّا... فَعَلِمَ الشَّخْصَ وَإِنْ ذَهَبِيًّا  
فَالْجِنْسُ لِلْمَاهِيَةِ اسْمُهُ وَضِعَ... مِنْ حَيْثُ هِيَ فَبِتَرْكِهِ لَا تَمْتَنِعُ  
تُلْفِيهِ ذَا تَوَاطُؤٍ إِنْ اسْتَوَى... مُشْتَرِكًا إِذَا تَفَاوُتًا حَوَى  
وَاللَّفْظُ وَالْمَعْنَى إِذَا تَعَدَّ... فَسَمَّيْنِ وَمَهْمَا اتَّحَدَا  
مَعْنَاهُ ذُوْنَ اللَّفْظِ ذُو تَرَادُفٍ... وَعَكْسُهُ إِنْ كَانَ فِي الْمُخَالَفِ  
حَقِيقَةً مُشْتَرَكًا وَالْأَلْفَاظُ حَقِيقَةً مَعَ الْمَجَازِ يُشَلَى

(٢) انظر: الترادف في اللغة لحاكم لعبي (ص: ٣٤)، الترادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق) للمنجد (ص: ٣١-٣٢).

(٤) وما بين القوسين من كلام ابن تيمية رحمته في مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٤١)، وتلاحظ من نقلي لها ترددي في إثبات الترادف ونفيه.

**أولهما: إثبات الترادف:**

والقول به على اختلافٍ في تعريفه، فهم يرونه مصدر ثراء لغوي مذهل، وقديماً تفاخر العلماء بكثرة حفظ المترادفات، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) رحمه الله في (الصاحي في فقه اللغة)، -وهو ممن لا يقول بالترادف-: «مما لا يمكن نقله البتة أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير ذلك، من الأسماء المترادفة. ونقل عن ابن خالويه الهمداني رحمه الله يقول: جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحيّة مائتين»<sup>(١)</sup>.

وسأل الرشيد رحمه الله الأصمعي رحمه الله عن شعر لابن حزام العُكَلِيّ ففسره، فقال: " يا أصمعي، إن الغريب عندك لَعَيَّرُ غريب"، فقال: " يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك، وَقَدْ حفظتُ للحَجْر سبعين اسماً؟! "<sup>(٢)</sup>، وقد ألف الأصمعي رحمه الله في ذلك كتابه (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه). وقد ألف مجد الدين أبو طاهر مُجَدُّ بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) رحمه الله: (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألف).

ومن قالوا بوجود الترادف: قطرب أبو علي مُجَدُّ بن المستنير البصري (ت ٢٠٦ هـ) رحمه الله، والفخر مُجَدُّ بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله، والتاج عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ) رحمه الله فإنه قال: "ونحن نقول: أما الجواز (أي الجواز العقلي) فلا يظن بعقل المنازعة فيه ضرورة أنه لا يلزم من فرض وقوعه محال، وأما الوقوع (في الاستعمال الخارجي) ففي مسميات تخرج عن حد الحصر"<sup>(٤)</sup>.

**موقف الشوكاني من الترادف.**

لم يقبل الشوكاني رحمه الله المنع من الترادف مع اعترافه بنسبة المنع إلى أساطين العربية ونسب الإثبات إلى الجمهور، وبين أن سبب الترادف إما تعدد الوضع، أو توسيع دائرة التعبير وتكثير وسائله، وهو المسمى عند أهل هذا الشأن بالافتنان، أو تسهيل مجال النظم والنثر، وأنواع البديع... واعد الفروق الدقيقة بين الكلمات التي يظن بها الترادف كالقعود من القيام والجلوس من الاضطجاع تكلفاً ظاهراً<sup>(٥)</sup>.

**هل يقول سيبويه رحمه الله بالترادف؟**

الجواب: وأسبق من هؤلاء كلهم إمام الصنعة سيبويه (ت ١٨٠ هـ) رحمه الله، وسمع له حيث يقول: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفق اللفظين واختلاف المعنيين. وسترى ذلك إن شاء الله تعالى. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٥٦).

(٢) الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص: ٢٢).

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لبنت الشاطي (ص: ٢١٢).

(٤) الإجماع في شرح المنهاج (١/ ٢٤٢).

(٥) إرشاد الفحول (ص: ٢٩)، وانظر: الإحكام للآمدي (١/ ٤٦).

هو نحو: جلسَ وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدتُ عليه من المؤجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشبه هذا كثيرٌ"<sup>(١)</sup>، فقولُه: " واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلق " ينصرف للترادف.

### تقسيم ابن القيم رحمته للمترادف:

**ما أقسام المترادف عند ابن القيم رحمته؟** الجواب: يقسم ابن القيم رحمته الترادف إلى نوعين حين يقول: " فالأسماء الدالة على مسمى واحد نوعان: أحدهما: أن يدل عليه باعتبار الذات فقط، فهذا النوع هو المترادف ترادفًا محضًا، وهذا كالحنطة والقمح والبر، والاسم والكنية واللقب إذا لم يكن فيه مدح ولا ذم، وإنما أتى به لمجرد التعريف، والنوع الثاني: أن يدل على ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها كأسماء الرب تعالى، وأسماء كلامه، وأسماء نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وأسماء اليوم الآخر، فهذا النوع مترادف بالنسبة إلى الذات، متباين بالنسبة إلى الصفات"<sup>(٢)</sup>.

يقول الفراهي رحمته فيما يشبهه الموافقه لما قرره ابن القيم رحمته: "ثم المرادفة لغيرها، وهي قسمان: المطابق لمرادفه من جميع الوجوه، وهذا قليل جدًا. والثاني ما يوافق من بعض الوجوه، وهذا كثير جدًا، وفيه معظم الوهم، فرمما يظنّونهما متحدتين، وكثيرًا ما يكون بينهما فرق لطيف لا يفتن به غير الممارس باللسان، فيلتبس عليه بعض معاني الكلام"<sup>(٣)</sup>.

وقد صرح الراغب الأصفهاني رحمته بما يشبهه هذا حينما قال: "وأتبع هذا الكتاب (مفردات غريب القرآن) إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة"<sup>(٤)</sup>.

### فإن قلت: كان هذا الكلام عن المذهب الأول في وجود الترادف، فما المذهب الثاني؟

#### وثاني المذهبيين: إنكار الترادف:

واعتبر أصحاب هذا المذهب أن ذلك لا يجوز في الحكمة، ويلخص نظرية إنكار الترادف قول محمد بن زياد بن الأعرابي (٢٣١هـ) رحمته: "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله"، وقال: "الأسماء كلها لعلّة خصت العرب ما خصت منها، من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله"<sup>(٥)</sup>، ولذا يزعم تلميذه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) رحمته: أن كل ما يُظنُّ أنه من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات.

(١) الكتاب (١/٢٤).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٥٤).

(٣) مفردات القرن (ص: ١٠١).

(٤) مفردات غريب القرآن للأصفهاني (ص: ٦).

(٥) الأضداد لابن الأنباري (ص: ٧).

وأنكر الترادف مُجَّد بن القاسم ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) رحمته الله مع أنه ألف الأضداد، فزعم أن (الجلل) يرادف (اليسير) و(العظيم)<sup>(١)</sup>.

وأشار أبو العباس مُجَّد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ) رحمته الله إلى التباين فيما يُظن أنها مترادفات في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قال: "فعطف (شِرْعَةً) على (منهاج)، لأن الشريعة لأوّل الشيء، والمنهاج لمعظمه ومُتَّسِعِهِ، ويعطف الشيء على الشيء، وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد، إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأوّل، فُعْطِفَ أحدهما على الآخر، فهو خطأ"<sup>(٢)</sup>.

ومن أعلام هذا المذهب عبد الله بن جعفر ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) رحمته الله، فأنكر لذلك تعاقب حروف الجر، وقال: "فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب، فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحكمة، فإن تعاقبت خرجت عن حقائقها"، وقال: "في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة، وإفساد الحكمة فيها... لا يكون فَعْلٌ وَأَفْعَلٌ بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحالٌ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد"<sup>(٣)</sup>.

ومن القائلين بنفي الترادف أيضًا ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) رحمته الله فقد قال: "يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهند والحسام"، والذي نقوله في هَذَا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبننا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وَقَدْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ قَوْمٌ فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد. وذلك قولنا: "سيف وعضب وحسام"، وقال آخرون: لَيْسَ منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، قالوا: ففي "قعد" معنى لَيْسَ فِي "جلس"، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب رحمته الله<sup>(٤)</sup>.

وهذا التباين قد يكون دقيقًا جدًّا، ويوضح لنا ذلك ما حكاه أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) رحمته الله قال: كنتُ بمجلس سيف الدولة بجلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه (الحسين بن أحمد ت ٣٧٠هـ)، فقال ابن خالويه رحمته الله: أحفظ للسيف خمسين اسمًا. فتبسم أبو علي رحمته الله، وقال: ما أحفظ له إلا اسمًا واحدًا، وهو السيف. قال ابن خالويه رحمته الله: فأين المُهَنْدُ، والصَّارِمُ، وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصِّفَةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) الأضداد لابن الأنباري (ص: ٩).

(٢) نقله عنه أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (ص: ٢٢).

(٣) تصحيح الفصيح وشرحه لابن دُرُسْتَوَيْهِ (ص: ٧٠).

(٤) الصاحبي في فقه اللغة (ص: ٥٩).

(٥) الزهر في علوم اللغة (٣١٨/١).

وأنكر أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) رحمته الله الترادف، كما أنكر تعاقب حروف الجر؛ لأنها تخرج عن حقائقها، ولذا ألف كتابه الشهير (الفروق)، وفي كتابه (التلخيص في معرفة الأسماء) ما يناقض ذلك بادئ الرأي:

الحُلوْبُ والحُلُوكُ والغَرِيبُ والمِسْحَنَكُ والحَالِكُ والمِحْلُولُكُ. كلُّ ذلك الأسودُ، والبرشمة والبرهمة والرنو كل ذلك إدامة النظر<sup>(١)</sup>.

وأشار ابن تيمية رحمته الله إلى المنع من الترادف، فالصحيح أن ما يسمى بالمترادفات يفيد كل منها معنى لا يوجد في الآخر غالبًا، "كما إذا قيل في السيف إنه سيف، وصارم، ومهند، فلفظ السيف يدل عليه مجردًا، ولفظ الصارم في الأصل يدل على صفة الصرم، والمهند يدل على النسبة إلى الهند"<sup>(٢)</sup>.

قال السبكي رحمته الله: "ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات، كما في الإنسان والبشر، فإن الأول موضوع باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس، والثاني: باعتبار أنه بادي البشرة"<sup>(٣)</sup>، وأشار السبكي رحمته الله إلى تكلف الفروق بين ما يُظنُّ أنها مترادفات.

### كيف يمكن الجمع بين المذهبين؟

الجواب: قال الشيخ عز الدين بن جماعة رحمته الله: والحاصل أن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع، ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى، فهي تُشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات، قال بعض المتأخرين: وينبغي أن يكون هذا قسمًا آخر، وسماه: المتكافئة. قال: وأسماء الله تعالى، وأسماء رسول الله ﷺ من هذا النوع؛ فإنك إذا قلت: إن الله غفور رحيم دالة على الموصوف بهذه الصفات<sup>(٤)</sup>.

وينقل أحمد مختار رحمته الله في "علم الدلالة" عن عالم سماه "ستورك" قوله: "كل الكلمات تملك تأثيرًا عاطفيًا، كما تملك تأثيرًا إشاريًا، ولهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة"<sup>(٥)</sup>، ويرى مُجدد نور الدين المنجد أن مراعاة الدلالة الأسلوبية والنفسية والإيحائية تخرج بالألفاظ عن حقيقتها اللغوية إلى مجالات غير لغوية لا يمكن ضبطها بمقاييس ثابتة، كالانطباق الذاتي، والإيحاء الروحاني، والنشوة الوجدانية، ولهذا فإننا لا ننكر إيقاع الترادف إنكارًا تامًا، وإنما نضيق دائرته<sup>(٦)</sup>.

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٤٢، ٤٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٢٣ / ٢٠).

(٣) الإتهام في شرح المنهاج (١ / ٢٤١) لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب.

(٤) الزهر في علوم اللغة وأنواعها (١ / ٣١٨).

(٥) علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر (ص: ٢٢٥).

(٦) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق (ص: ٧٨).

## المطلب الثالث: الترادف وحديث الأحرف السبعة

## وقد تتساءل: ما علاقة الأحرف السبعة بالترادف؟ وكيف كانت دليلاً للقائلين بالترادف؟

الجواب: حديث الأحرف السبعة من أهم الأدلة التي اعتمدها القائلون بالترادف، فقد وقف القائلون بإنكار الترادف أمامه حائرين، وأراه أضعف الأدلة؛ إذ كيف يستقيم الاستدلال به وقد اختلف أهل العلم في فهمه اختلافاً كثيراً؟!!

فمنهم من يرى مفهوم العدد سبعة، ومنهم من لا يراه، ومنهم من أهمه وأغمه مدلول هذا العدد، فجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) رحمته الله مثلاً يرى أن المراد بالسبعة الكثرة في الأحاد<sup>(١)</sup>، ورد ابن الجزري رحمته الله ذلك، ورأى أن السبعة مقصودة<sup>(٢)</sup>، ونقل الطاهر بن عاشور رحمته الله ذلك عن الجمهور - كما نقل - أن المراد عدم وجود زيادة على سبع قراءات في الموضع الواحد لا أن كل موضع فيه سبع قراءات<sup>(٣)</sup>، واعتمد بعضهم على هذا الحديث، فزعموا أن الأحرف السبعة عبارة عن مترادفات، وقد نُقِلَ نحو هذا القول عن جمع من العلماء، وأظن أن النقل تعوزه الدقة، ويفتقر إلى التحقيق في قول كل واحد منهم، وتحقيق ذلك له موضع آخر، ولكننا نورد شيئاً من هذا النقل، فقد ذكر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) رحمته الله الأقوال في معنى الأحرف السبعة، وقال:

«وَالْحَامِسُ: الْمُرَادُ سَبْعَةٌ أَوْجُهُ مِنَ الْمَعَانِي الْمُتَّفِقَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْمُخْتَلِفَةِ نَحْوَ أَقْبَلُ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ وَعَجَّلَ وَأَسْرَعَ وَأَنْظَرَ وَأَحْرَزَ وَأَمْهَلَ وَنَحْوِهِ وَكَاللُّغَاتِ الَّتِي فِي أَفِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: "وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْكَرُوا عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لُغَاتٌ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تُرَكِّبُ لُغَةً بَعْضَهَا بَعْضًا، وَمَحَالٌ أَنْ يُقْرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا بِغَيْرِ لُغَتِهِ، وَأُسَيْدٌ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْآ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] سَعَوْآ فِيهِ، قَالَ: فَهَذَا مَعْنَى السَّبْعَةِ الْأَحْرَفِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَحَادِيثِ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ مِنْهُمْ: سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَابْنُ وَهْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَالطَّحَاوِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَفِي مُصْحَفِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي بِيَايِدِي النَّاسِ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ"<sup>(٤)</sup>.

هكذا نسب ابن عبد البر رحمته الله هذا القول إلى أكثر أهل العلم... وأظنه تعجل كثيراً في ذلك،

وما أكثر ما ينسب المرء شيئاً إلى أحد قال معاني مشتركة بينه وبين غيره، فظن الرأيين متطابقين!

وهذا يحتاج إلى تحليل أوسع، فهناك ملحوظات كثيرة حول ذلك، فلا يهولنك الأسماء التي نعظمها في هذه المسألة الدقيقة؛ فإنك لا تعدم أن تجد ملحوظة حول معظم ما قالوه، وكنت قد

(١) ينظر: تفسير القاسمي (١/ ١٨٠)، نقلاً من الإتيان.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ٥٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢٠).

حاولت تقديم تحليل عميق حول هذا الحديث مع طلابي في الكلية العليا للقرآن الكريم بين سنة ٩٤-٩٧م، ولكن دَرَس ذلك دون احتفاظ مني ومن الطلاب بما دوناه، والله المستعان.

ولا تحسبني أتعاضم عندما أقول لك: لا يهولنك كثرة الأسماء المبجلة من أكابر العلماء هنا؛ فإن هذه المسألة قد نالت من علمائنا ما نالت، حتى نقلوا عن ابن حبان رحمته الله أنه ذكر في المسألة خمسًا وثلاثين قولاً، وقال فيها ابن الجزري رحمته الله:

"وَلَا زِلْتُ أَسْتَشْكِلُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَأُفَكِّرُ فِيهِ وَأَمْعِنُ النَّظَرَ مِنْ نَيْفٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ صَوَابًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"<sup>(١)</sup>.

وأردت من هذا أن الاستدلال بالحديث لا يساعد على قول من يقول بأن الأحرف السبعة مترادفات سبع.

وقد ردَّد بعضهم أن المراد بالأحرف السبعة مترادفات سبع، ثم ما لبث أن انتبه بعضهم إلى خطر المجازفة في القول بذلك، فقال ابن عطية رحمته الله:

"فأباح الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله صلوات الله عليه: «فاقرؤوا ما تيسر منه» بأن يكون كل واحد من الصحابة رضي الله عنهم إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه. ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي صلوات الله عليه ليوسع بها على أمته، فقرأ مرة لأبي رحمته الله بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما، ومرة لابن مسعود رضي الله عنه بما عارضه به أيضاً"<sup>(٢)</sup>.

ويقول الباقلاني رحمته الله واصفاً ذلك المذهب بالفساد: "وأما ما يدل على فساد قول من زعم أن معنى الأحرف السبعة أهما أسماء مترادفة على شيء واحد.. أن قارئاً لو قرأ مكان ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿وَوَافَى رَبُّكَ﴾، وقرأ: "إني ماضٍ إلى ربي" مكان، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصفات: ٩٩]، ولو قرأ: "جيئوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم"، أو: "وافوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم" مكان قول الله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] لم يسع ذلك، ولم يحلَّ بإجماع المسلمين، وإذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه من كل وجه"<sup>(٣)</sup>.

**المطلب الرابع: (الإعجاز) البياني في استعمال المفردات اللغوية بأي الترادف:**

**فإن قلت: ما أهم أدلة القائلين بعدم الترادف؟**

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٦).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٤٧).

(٣) الانتصار للقرآن للباقلاني (١/ ٣٨٢).

الجواب: من أهم أدلة القائلين بعدم الترادف أن القول به لا يُقيّم للإعجاز البياني في استعمال المفردات مكاناً؛ إذ لا بد أن تظهر الدقة القرآنية في استعمال كلمة ما دون كلمة أخرى، ورأى منكرو الترادف أنه يقتضي التكرار دون فائدة، والقرآن الكريم منزّه عن ذلك... وقد تأتي الكلمة في القرآن فيظن المرء أنها مرادفة لكلمة أخرى وردت في القرآن الكريم، وحقيقة الأمر أنها تفيد معنى لا يوجد في الكلمة الأخرى ولذا قال الزركشي رحمته الله: "فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن"<sup>(١)</sup>، "فإذا قال القائل ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] إن المور الحركة كان تقريباً؛ إذ المور حركة خفيفة سريعة..."<sup>(٢)</sup>.

وهذا دليلٌ مستقيمٌ بادئ الرأي، وما زال بحاجةٍ إلى زيادةٍ تحرير

لكنتي ينبغي أن ألفت النظر إلى أمرٍ خطيرٍ في هذا الباب؛ فإن كثيراً من نفاة الترادف يسارعون إلى المبالغة في بيان الفروق بين الكلمات التي تنتمي إلى الترادف (اللين) - وهذا اصطلاحى الخاص -، وجعلوا هذه الفروق من أهم مظاهر الإعجاز البياني، ومشكلة كثيراً من المتكلمين في الإعجاز البياني المسارعة إلى تدييح فرقٍ مدعى بين هذه الكلمة وتلك دون الاستناد إلى ركنٍ وثيقٍ من الأدلة.

كما ترى فيمن يقرر الفرق بين: النور والضياء، وبين الصوم والصيام.

وإذا كانت سهام النقد قد نالت الإعجاز العلمي للتكلف البين في مواضع منه، فإنك تجد الأمر ذاته بل أعظم في الإعجاز البياني؛ إذ يتعجل المتعجلون فيظهورون في الفروق بين المفردات ما ينفون به وجود المترادفات، فتري الوضوح في بعضها، وتثن من الثقل والتكلف وانعدام التحقيق والضبط في مواضع أخرى.

### فإن قلت: هلاً ضربت لنا مثلاً على المبالغين في بيان الفروق بين المفردات؟

الجواب: لو راجعت ما ذكره محمد نور الدين المنجد - وفقه الله - في كتابه حول الفرق مثلاً بين: أتى وأعطى، وبين "جاء وأتى" لعجبت من عدم الاطراد فيما يقرر من قواعد على أنك تشعر بضعف تلك الفروق، وعدم استنادها على ركنٍ شديد من التععيد، فارتضى - وفقه الله - أن يكون الفرق بين الأجر والثواب أن الأجر مقابل العمل، والثواب زيادة، وحاول أن يطبق ذلك، فلم يظهر فيما أورده من أمثلة، فمن ذلك تمثيله بقوله تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: "فكأن الحسنى أجر، والثواب ما زاد على ذلك".

فقلب الطرف فيما ذكر. أولاً تراها مجرد دعوى غير مطردة؟ فقد سلك أسلوب الفروق المتعددة عند عدم اطراد الضابط، فذكر مثلاً أن الأجر على الأعمال، والثواب على الأعمال والأقوال، ولم

(١) البرهان (٧٨/٤)، وانظر: الإتيان (٢/ ٤٩٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٤١).

أر بنظري القاصر إلا ضعفاً في إيراد فرق واضح عليه أثارة من علم، ولقد شعر بذلك - وفقه الله - فختم بقوله: "وإن صحت هذه الفروق بين الأجر والثواب فلا يمكن عدّها من المترادفات، وإلا فحسبنا ما بين اللفظين من عموم الثواب في الخير والشر، وخصوص الأجر بالنفع دون الضر، فيخرجان بذلك من حيز الترادف"<sup>(١)</sup>، ثم تكلم عن الجزاء، وحاول أن يمنع أن تكون هذه الكلمة مرادفة لكلمة "ثواب"، وذكر أن ثلاث كلمات بمعنى النقص: ألت عند عبس، وهضم عند هذيل، وبخس عند حمير.

ويمكنك أن تعقب فتذكّر بأن النسبة اللغوية للقبائل بحاجة إلى مزيد تحقيق، وحسبك أن ترى أنه نسب كلمة (غرام) أو (عكف) لحمير كأنها انفردت بهما، والأمر غير ذلك، ولقد قرر أنه لا ترادف في القرآن الكريم، وهو يعني الترادف (الصلب) أي في اللغة (اللهجة) الواحدة، ولكنه أورد مترادفات في لغات عربية مختلفة كما رأيت.

والتحليل اللغوي الذي حاوله لبيان الفرق يظهر عليه الضعف في مواضع كثيرة، وما أورده لا يرتقي إلى حيز البرهان في منع الترادف مع أي لا أقول بوقوع الترادف في القرآن، بل ما زلت متردداً، ولا أنكر الجهد الرائع الذي قام به فضيلة الدكتور - وفقه الله - غير أن ذلك لا يمنعني من الشعور بحاجة الجانب التطبيقي لمزيد من التدبر والصلق، كما أن ميل المؤلف - وفقه الله - إلى أن الأحرف السبعة تمثل الترادف قولٌ أنشأه عدم التروي والإمعان والتحليل والسبر للاحتتمالات المتعددة في المسألة، وإن قال به مشاهير من أهل العلم.

### أسماء الله الحسنى ليست مترادفة:

### وقد تتساءل: هل أسماء الله ﷻ الحسنى مترادفة؟

الجواب: حث الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) ﷺ على ضرورة تدبر معاني أسماء الله الحسنى مع اعتقاد نفي الترادف فيها، حيث قال: "فهذه الأسماء وإن كانت متقاربة المعاني فليست مترادفة، لأن الأسماء لا تراد لحروفها ومخارج أصواتها، بل لمفهوماتها، ومعانيها، فهذا أصل لا بد من اعتقاده"<sup>(٢)</sup>. ولا يعني ما تقدم إنكار الترادف بالكلية كما سبق تقريره، ويلخص ابن القيم ﷻ ذلك بقوله: "وقد أنكر كثير من الناس الترادف في اللغة... وهذا الذي قالوه صحيح باعتبار الواضع الواحد، ولكن قد يقع الترادف باعتبار واضعين مختلفين، يسمي أحدهما المسمى باسم، ويسميه الواضع الآخر باسم غيره، ويشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة، وهذا كثير"<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه القاعدة القائلة بعدم الترادف ينتج التفسير البياني، والإعجاز البياني الذي يفتح باباً واسعاً للتدبر القرآني.

(١) الترادف في القرآن (ص: ١٦٣).

(٢) المقصد الأسنى (ص: ٤٢).

(٣) روضة المحبين (ص: ٥٤).

### مما يُنغص على القول بعدم الترادف:

علام يدل استعمال القرآن لكلمات متقاربة، كل منها في موضع الآخر، كاستخدام صيغتي فَعَلَ وأَفْعَلَ؟

الجواب: ينغص على القول بعدم الترادف: التقارب الكبير بين الكلمات مع استعمال كل منها موضع الآخر في آيات متعددة، فعلى سبيل المثال:

نجد صيغة (أفعل) في قول الله ﷻ عن لوط عليه السلام: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، وقوله ﷻ: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧] فجاءت هنا صيغة (أفعل) في بيان نجاته، لكننا وجدنا صيغة (فعل) في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠].

وفي قصة نوح عليه السلام نجد صيغة (أفعل) في قوله ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥].

ولكننا نجد في الوقت ذاته صيغة (فعل) في قوله ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَتَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، ومثل ذلك في قصة هود عليه السلام:

فنجد صيغة (أفعل) في قوله ﷻ: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، ولكننا نجد صيغة (فعل) في قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨].

وجاءت الصيغتان في مكان واحد تعبيراً عن نجاته بني إسرائيل، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَمَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٩، ٥٠].

وقد حاول بعض المعاصرين تطلب الفرق بين اللفظين، حينما قال: "ومنه استعمال (نجى) وأنجى)، فإن الملاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نجى) للتلبث والتهميل في النتيجة، ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها، فإن (أنجى) أسرع من (نجى) في التخلص من الشدة والكره،

هذا وإن البناء اللغوي لكل منهما يدل على ذلك<sup>(١)</sup>، ثم ساق على أمثلة من كتاب الله ﷻ موضحاً لما ذهب يقرره.

ولست هنا بصدد التتبع فإن ذلك يستحق كتاباً مستقلاً، وقد تكررت هذه الصيغة ٣١ مرة.

### المطلب الخامس: الفارسي وابن جني - رحمهما الله تعالى - والقول بالترادف:

#### وربما سألت: ما موقف أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني من قضية الترادف؟

الجواب: أثبت ابن جني رحمهما الله تبعاً لأستاذه الفارسي رحمهما الله الترادف، فَعَقَدَ<sup>(٢)</sup> باباً أسماه: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، ومثّل لذلك، وفصّل مبيناً وجه كل ما ذكره، فمما أشار إليه تلاقي المعاني في:

قولهم: (خُلِقَ الإنسان) فهو (فُعِل) من خَلَقْتُ الشيء أي مَلَسْتَهُ، ومنه صخرة خَلَقَاءَ للملساء. ومعناه أن خُلِقَ الإنسان هو ما قُدِّرَ له ورُتِبَ عليه، فكأنه أمر قد استقرَّ وزال عنه الشك، ومنه قولهم في الخبر: (قد فرغ الله من الخَلْقِ والخُلُقِ)، والخلِيقَةُ فَعِيلَةٌ منه، وقد كثرت فَعِيلَةٌ في هذا الموضع، وهو قولهم: (الطبيعة) وهي من طبعَت الشيء (أي فَرَزْتَهُ) على أمر ثبت عليه، كما يُطَبِّعُ الشيء كالدرهم والدينار، فتلزمه أشكاله، فلا يمكنه انصرافه عنها ولا انتقاله، ومنها (النَحِيَّةُ) وهي فَعِيلَةٌ من نَحَتْ الشيء أي: مَلَسْتَهُ وفَرَزْتَهُ على ما أردته منه، فالنَحِيَّةُ كالخلِيقَةِ: هذا من نَحَتْ وهذا من خَلَقَتْ، ومنها (الغريزة) وهي فَعِيلَةٌ من غَرَزَتْ، كما قيل لها طبيعة؛ لأن طبع الدرهم ونحوه ضرب من وُسْمِهِ وتغريزه بالآلة التي تثبت عليه الصورة. وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع، ومنها (التقيبة) وهي فَعِيلَةٌ من نَقَبْتُ الشيء وهو نحو من الغريزة، ومنها (الضريبة) وذلك أن الطبع لا بدَّ معه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة، ومنها (النَحِيَّةُ) هي فَعِيلَةٌ من نَحَزْتُ الشيء أي دَفَقْتَهُ، ومنها (السجِيَّةُ) هي فَعِيلَةٌ من سَجَا يسجُو إذا سكن، وذلك أن خَلَقَ الإنسان أمر قد سكن إليه واستقرَّ عليه، ومنها (الطريقة) من طَرَقْتُ الشيء أي وطَّأته ودَلَلْتَهُ وهذا هو معنى ضربته ونقبته وغرزه ونحته لأن هذه كلها رياضات وتدريب واعتمادات وتهذيب، ومنها (السجيحة) وهي فَعِيلَةٌ من سَجِحَ خُلُقُهُ؛ وذلك أن الطبيعة قد فَرَّتْ واطمأنت فسجحت وتدللت. وليس على الإنسان من طبعه كُفْلَةٌ، وإنما الكُفْلَةُ فيما يتعاطاه ويتجشَّمه، قال حسان رحمهما الله<sup>(٣)</sup>:

ذُرُوا التَّخَايُجُوْا وَاَمْشُوا مِشْيَةً      إِنَّ الرِّجَالَ ذُرُّوْا عَصَبٌ وَتَذَكِيْرٌ

وقال الأصمعي رحمهما الله: إذا استوت أخلاقُ القوم قيل: هم على سُرجوجة واحدة ومِرْنٍ واحد (ومنهم من يقول: سِرْجيجة وهي فَعْلِيلَةٌ من هذا) فسرجوجة: فعولة من لفظ السِرْج ومعناه.

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي (ص: ٧٠).

(٢) الخصائص (١١٣/٢).

(٣) ديوان حسان (ص: ١٢٩).

والتقاؤهما أن السَّرْج إنما أريد للراكب لِيُعَدِّله ويزيل اعتلاله ومَيْله. فهو من تقويم الأمر، فهو بالمعنى عائد إلى النَّحِيَّة والسَّجِيَّة والخَلِيقَة؛ لأن هذه كلها صفات تُؤذَن بالمشاهدة والمقاربة. والمرن مصدر كالحلف والكذب، والفعل منه مَرَنَ على الشيء إذا أَلَفَهُ فَلَاكَنَ له. وهو عندي من مارن الأثف لِمَا لان منه. فهو أيضاً عائد إلى أصل الباب ألا ترى أن الخليفة والنحيتة والطبيعة والسجينة وجميع هذه المعاني التي تقدّمت تؤذَن بالإلف والملاينة والإصحاب والمتابعة. ومنها (السليقة) وهي من قولهم: فلان يقرأ بالسليقية أي بالطبيعة. وتلخيص ذلك أنها كالنحيتة، وذلك أنه إذا تحاتت لان وزالت شدّته، والحتت كالنحت وهما في غاية القرب. ومنه قول الله سبحانه: ﴿سَلَفُوكُمْ بِاللَّسِيَّةِ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي نالوا منكم. وهذا هو نفس المعنى في الشيء المنحوت المحتوت ألا تراهم يقولون: فلان كريم النجار والنجر أي الأصل. والنجر، والنحت، والحت، والضرب، والدق، والنخز، والطبع، والخلق، والغرز، والسلق، كله التمرين على الشيء، وتلين القويّ لِيُصْحَبَ وينجذب.

فاعجب للطف صنع الباري سبحانه في أن طبع الناس على هذا وأمكنهم من تربيته وتنزيله وهداهم للتواضع عليه وتقريره، وختم بقوله:

الخليفة من (خ ل ق) والسجينة من (س ج و)، والطبيعة من (ط ب ع)، والنحيتة من (ن ح ت)، والغريزة من (غ ر ز) والسليقة من (س ل ق)، والضريبة من (ض رب) والسجينة من (س ج ح) والسرجوجة، والسرجيجة من (س ر ج) والنجار من (ن ج ر) والمرن من (م ر ن).  
فالأصول مختلفة، والأمثلة متعادية، والمعاني مع ذنبك متلافة.

### فإن قلت: هل معنى هذا أن ابن جني يقول بالترادف المحض؟

الجواب: كلام ابن جني رحمته لا يظهر منه أن يرى الترادف الصلب، وإنما يرى التداخل والتلاقي في المعاني، ولذا قال: "كان أبو علي رحمته يستحسن هذا الموضع جداً، وبينه عليه، ويُسرُّ بما يُحضره خاطره منه، وهذا باب إنما يُجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردة من الألفاظ، وليس كالاتفاق الذي هو من لفظ واحد فكأن بعضه منبّهة على بعض، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعاني غير منبّهة عليها الألفاظ، فهو أشرف الصنعتين وأعلى المأخذين. فتفطن له وتأنّ لجمعه فإنه يؤنقك ويُفنى عليك ويسط ما تجعد من خاطرك ويُريك من حكّم الباري - عزّ اسمه - ما تقف تحته، وتسلم لعظم الصنعة فيه، وما أودعته أحضانه ونواحيه<sup>(١)</sup>، وكان أبو علي رحمته إذا عبر عن معنى بلفظ ما فلم يفهمه القارئ عليه وأعاد ذلك المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه يقول: هذا إذا رأى ابنه في قميصٍ أحمر عرفه، فإن رآه في قميصٍ كحلي لم يعرفه"<sup>(٢)</sup>.

(١) الخصائص (٢/١٣٣).

(٢) الخصائص (٢/٤٦٨).

ويظهر لي ما قررته من الدقة اللغوية لابن جني وشيخه -رحمهما الله- ولذا حثُّ أن يتفطن المرء لموضع التلاقي بين الكلمات غير المشتقة، كما ينبغي أن يتفطن لموضع التفارق، ثم قال: "حفظها ساذجة، وقمشها محطوبة هرجة، فنعوذ بالله منه" (١).

### المطلب السادس: البيان القرآني العالي الحكيم المحكم والترادف

#### وضح كيف يكون الترادف مصدر قوة وثراء حقيقي للغة العربية.

الجواب: يظهر لي أن الترادف مصدر قوة وثراء، وليس مجرد عبث واستهواء، وهو من أسباب المجد الحقيقي للغة، فليس ذلك ثراءً زائفاً خلافاً للدكتور الخفاجي الذي جعله من معوقات الترجمة، ومن فوائده: أنه يوسع طرائق التعبير، وينقذ من العي والإرتاج والحصر في الكلام، ويوسع في البحث عن الأجل والأنسب بالمقام لفظاً أو معنى، ومن فوائده التفنن والترين في الكلام.

#### ماذا قال البيضاوي رحمته الله عن الترادف؟ وما الفائدة التي نجتنيها من هذا القول؟

الجواب: ذكر البيضاوي رحمته الله وشرحه السبكي رحمته الله أن المترادفات قد تكون من واضعين كقبيلتين وضعت كل واحدة منهما لفظاً تدل على معنى أرادته، وقد تكون من واضع واحد أفادت:

- تكثير الوسائل أي الطرق إلى الإخبار عما في النفس، فإنه ربما نسي أحد اللفظين، أو عسر عليه النطق به، وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف أثلغ، فلم يحفظ عليه أنه نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات تعينه على ما قصده لما قدر على ذلك.
- والتوسع في محل البديع، أي في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنثر (٢).

### القاعدة السادسة من القواعد اللغوية: قد يوجد ما يشبه الترادف في الاصطلاح الشرعي القرآني مع دلالة كل من اللفظين على معنى مستقل لا يدل عليه الآخر:

وذلك كلفظي: الإيمان، والإسلام فالشرع "قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد، وورد على سبيل الاختلاف، وورد على سبيل التداخل، أما الترادف ففي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٥ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، وأما الاختلاف فقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح... (٣).

(١) الخصائص (١٢٥/٢)، القمش جمع الشيء من ههنا وههنا، ومحطوبة: أي جمعت جمع الحطب وهو العود اليابس، وهرجة: الهرجة: الضعيف من كل شيء، والهرجة: القوس اللبنة، والجمع: هرج.

(٢) الإجماع في شرح المنهاج (١/ ٢٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ١١٦).

### المطلب السابع: ركائز في سبيل تحرير محل النزاع

والقول بفرق ظاهرٍ جوهري تظهر منه آثار الاستقراء للغة وفقهها ما زال بعيداً، وأحسبه مجالاً رحباً لزيادة الفكر والتدبر، وسأضع ركائز يساعدن في تأسيس هذا البحث:  
**الركيزة الأولى: جمال اللفظ والتفنن في الاستعمال وانفكاكه عن الترادف:**  
 قد يقول قائل: هذا التبادل الموضوعي بين صيغة (فَعَل) و(أَفْعَل) في القصة الواحدة يدل على الترادف، والاستعمال المتعدد للتفنن المحض.

وذلك يعني أن التفنن في الاستعمال إبداعٌ لفظي دون وجود داعٍ معنوي واضح، ولا شك أن جمال الكلام والكلمة، وظهور إبداعهما يشكل جزءاً من معاني الفصاحة والبلاغة، فليس الداعي المعنوي هو العامل الحاسم في إيراد الكلام، ولذا قال السيوطي رحمته الله:

فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ أَلَّا تَنْفُرَا      حُرُوفُهُ كَهُعُوحٍ وَأَسْتَشْرَزَا  
 وَفَقْدُهُ عَرَابَةً قَدْ أُزْبَجَا      كَأَفَاحِمًا وَمَرَسِنًا مُسْرَجًا<sup>(١)</sup>

**الركيزة الثانية: اختلاف اللفظ قرينة على اختلاف المعاني ولو من وجه:**

#### وقد تسأل: كيف تدل هذه الركيزة على عدم الترادف؟

الجواب: ذلك دليلٌ على عدم الترادف؛ فإن استعمال صيغتين في قصة واحدة بل في مكانٍ واحد، كما في آيتي بني إسرائيل، يدل على أنهما يشتركان في معنى عام، ثم لكلٍ منهما معنى دقيقٌ لا يوجد في الآخر؛ وهو ما يُظهره جمال التدبر، ويفتح الله عز وجل فيه للأجيال جيلاً بعد جيل، فحيث جاءت بصيغة (أفعل) مقصودة، ولا ينبغي أن يحل مكانها (فعل)، والعكس كذلك، وهذا قريبٌ مما قاله ابن الأعرابي رحمته الله، وينغص على هذا التفكير أنه يقتضي عدم وقوع التحدي البياني؛ لعدم ظهور الفرق عند السامع الحذق لفنون العربية، وكما ترى فإن الفارق بين صيغة (فعل) وصيغة (أفعل) لا يظهر بجلاء، ولا نجد علماء فقه العربية قد وضعوا قانوناً واضحاً لذلك، كما وضعوا للفاعل والمبتدأ والخبر مثلاً قوانين لا تتخلف.

**الركيزة الثالثة: القول بالتفنن، والجمال اللفظي لا يعني جواز وضع كلمة مكان مرادفتها؛**

لضرورة المحافظة على كلمات الله عز وجل دون أدنى تحريف كلمي أو معنوي.

**الركيزة الرابعة: الأصل في الكلمات القرآنية التباين النسبي في المعنى، وعدم الترادف الكامل:**

ينغص على القول بوجود المترادف في القرآن المجيد عدم جواز إبدال كلمة بكلمة، وإنزال القرآن حكيمًا محكمًا أحسن الحديث في كلماته وبيانه وأسلوبه وآياته، وترتيب سوره، وإن هذا المانع لعظيم حَقًّا يحول بين المرء وبين أن يقول بوجود الترادف الصلب في القرآن الكريم، فالأصل في الكلمات القرآنية التباين النسبي في المعنى، وعدم الترادف الكامل.

(١) عقود الجمان في علم المعاني والبيان (ص: ٢٩).

وما ذُكر أنه مترادف في القرآن فيمكن أن نعهده من أشباه الترادف، ولا ندخله في الترادف الصلب، فنفرق بين مستويين من التخاطب: الدقة الدلالية، والتخاطب العام

اذكر مثلاً يوضح أن الأصل في الكلمات القرآنية التباين النسبي في المعنى، وعدم الترادف الكامل.

الجواب: مثل العسكري ﷺ لذلك باللب والعقل فقال: اللب وإن كان هو العقل إلا أنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل.

ولذا لا بد من التفريق بين ما يظهر بادئ الرأي أنها مترادفات، وكأن الزركشي ﷺ كان متردداً في إثبات الترادف الصلب، ومثل لهذا النوع فقال: "عَطْفٌ أَحَدِ الْمُتَرَادِفِينَ عَلَى الْآخَرَ أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ فِي الْمَعْنَى وَالْقَصْدُ مِنْهُ التَّأَكِيدُ، وَهَذَا إِنَّمَا يَجِيءُ عِنْدَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ بِالْوَاوِ، وَيَكُونُ فِي الْجُمْلِ كَقَوْلِهِ: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥]، وَيَكْثُرُ فِي الْمُفْرَدَاتِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، ﴿لَا تَخْلَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ٢٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] قَالَ الْخَلِيلُ ﷺ: الْعِوَجُ وَالْأَمْتُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَقِيلَ: الْأَمْتُ أَنْ يَعْطُظَ مَكَانٌ وَرِيقٌ مَكَانٌ، قَالَهُ ابْنُ فَارِسٍ ﷺ فِي "الْمَقَائِسِ"، وَهُوَ رَاجِعٌ لِمَا قَالَهُ الْخَلِيلُ ﷺ، وَقَوْلِهِ: ﴿أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، وَفَرَّقَ الرَّاعِبُ ﷺ بَيْنَ النَّدَاءِ وَالِدُعَاءِ، بِأَنَّ النَّدَاءَ قَدْ يُقَالُ إِذَا قِيلَ "يا"، أَوْ "أيا"، وَخَوْهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ الْإِسْمُ، وَالِدُعَاءُ لَا يَكَادُ يُقَالُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَهُ الْإِسْمُ، نَحْوُ: يَا فُلَانُ" (١).

وأكثر الأمثلة التي استدلت بها ﷺ أقرب إلى أن تكون من شبه المترادف، لا من المترادف الصلب فيما يظهر لي، ولا تعدم أن تجد بينها فروقاً في المعنى والاستعمال، تُظهر جمال البيان القرآني.

لعلك تسأل: ما الفرق بين الوهن والضعف؟ ولماذا أثر التعبير القرآني هذا في موضع وذاك في موضع آخر؟

فاستمسك بمثالٍ منها لتبين هذه الفروق الدقيقة؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]، فرق بين الوهن والضعف، مع أنهما

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٧٢).

«متقاربان تقارياً كبيراً من الترادف؛ فالوهن قلة القدرة على العمل وعلى النهوض في الأمر وفعله، والضعف بضم الضاد وفتحها ضد القوة في البدن»<sup>(١)</sup>، وعندني في التفريق بينهما أوجهٌ أخرى، فالوهن يطلق على الضعف الداخلي المادي والنفسي وعلى الثقل والقيود<sup>(٢)</sup>، ويدل على أنه الضعف الداخلي المادي قول الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]، وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها» قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غناء كغناء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن» قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكرهية الموت»<sup>(٣)</sup>.

وأما الضعف فهو عام فيطلق على كل قلة قوة، أو عدمها، أو ازدياد سلب بقاها، سواء أكان ذلك من الناحية البدنية، أم المالية، أم النفسية، أم الاجتماعية. ومن أمثلة ذلك أن النصب هو: التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له، واللغوب: ما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب: نفس المشقة والكلفة، واللغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة<sup>(٤)</sup>.

#### الركيزة الخامسة: إعمال الفكر والتدبر في المفردات والفروق بينها والتخلي عن قيود الترادف:

ينبغي تمتمين البحث وتوسيع المدارك في هذه القضية للنظر في متعلقات الإعجاز البياني، فعند التخلي عن القيود الصارمة في ترادف المفردات لننظر في الترادف الأسلوبي، فإني أقول موقناً بأن قول ربي: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] هو الفصح الأوضح، فهل يكون قولنا: ولا الليل سابق النهار أفصح منه؟ كلا!، وبيان ذلك يطيل الكتاب، وإنما مثَّلت بهذا لتعلم أن ابن جني رحمه الله لم يعن بالأفصح في حكايته عن أبي علي رحمه الله إلا الذوق الشخصي الفردي، لا الأفصح في ذاته، فقد قال: "ويدلُّك على أن الفصح من العرب قد يتكلم بال لغة غيرها أقوى في القياس عنده، منها: ما حدَّثنا به أبو علي رحمه الله قال: عن أبي بكر، عن أبي العباس، أن عُمارة بن بلال بن جرير كان يقرأ: (ولا الليل سابق النهار) بالنصب. قال أبو العباس: فقلت له ما أردت؟ فقال: أردت (سابق النهار) فقلت له: فهلاً قلت؟ فقال: لو قلت له لكان أوزن. فقوله: أوزن أي أقوى، وأمكن في النفس"<sup>(٥)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (٣/٢٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٦/١٥٠).

(٣) أحمد (٢٢٤٥٠)، وقال الأرنؤوط: "إسناده حسن"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٨٢).

(٤) «نموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل» (ص٤٢٧).

(٥) الخصائص (١/١٢٥).

ونفي الترادف بالكلية ربما انتمى إلى الغلو؛ فإن وجود الترادف دالٌّ على ثراء اللغة العربية، وعلى حفظ أشهر ألفاظها، وعلى الإحاطة بلغات أشهر قبائلها؛ ولذا نقل السيوطي رحمه الله عن بعض المحققين أنه ينبغي أن يُحمل كلامٌ من منع على منعه في لغةٍ واحدة، فأما في لغتين فلا يُنكره عاقل<sup>(١)</sup>، بل إنني أتوسع في القول بذلك ضمن لغة واحدة، فما التشريب في ذلك عند التأمل

وأما في القرآن الكريم فأرى البحث عن الفروق بين الألفاظ إلى أقصى حد، وأجد من الصعوبة بمكان أن أقول: بالترادف المحض (الصلب) فيه؛ لتعلق ذلك بإعجازه البياني، وأرد بشدة ما ذكر عن بعض أهل العلم من القول بأن الأحرف السبعة مترادفات سبع.

ولا تعجب من إطالتي النفس في هذا المبحث؛ فهو حريٌّ بذلك؛ إذ يترتب عليه إظهار الإعجاز البياني في القرآني، وإظهار البيان القرآني العلي الحكيم.

### المطلب الثامن: الكتب التي ألفت في الترادف في القرآن الكريم

#### اذكر بعض الكتب المؤلفة في الترادف في القرآن.

الجواب: هذه بعض الكتب التي ألفت في هذا المجال: (الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق) للأستاذ محمد نور الدين المنجد، و(القرآن والترادف اللغوي) ليونس يحيى عبد الله، ونجعة الرائد، و(شرعة الوارد في المترادف والمتوارد) لإبراهيم بن ناصف اليازجيّ النصراني المشهور (ت ١٣٢٤هـ).

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان - وفقه الله -:

وَعَدَمُ التَّرَادُفِ الْأَصْلُ كَمَا  
وَلُغَةٌ فَلَّ، وَفِي الدِّكْرِ نَدْر  
مِنْ "وَهَنُوا" وَ"ضَعُفُوا" قَدْ فُهِمَا  
وَقِيلَ: مَعْدُومٌ بِوَحْيٍ مُسْتَطَرِّ

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٣١٨)، إلا أن الأصل أنه لا ترادف، وقد نشرت مجلة "منار الإسلام" الإماراتية عدد جمادى الأولى ١٤١٩هـ مقالاً للدكتور عفيفي محمود عفيفي بعنوان: "أسرار بيولوجية في ألفاظ قرآنية" أثبت أنه لا ترادف بين ألفاظ "البصر والنظر والرؤية"، وأن لكل منها مجالاً خاصاً في القرآن الكريم.

**أسئلة تفويمية:**

- س١: ما الفرق بين المترادف والمتواطئ والمتكافئ؟
- س٢: اذكر أقوال العلماء في وجود المترادف.
- س٣: اذكر أبرز القائلين بإثبات المترادف.
- س٤: ما أقسام المترادف عند ابن القيم رحمته الله؟
- س٥: اذكر أبرز القائلين بإنكار المترادف.
- س٦: ما علاقة الأحرف السبعة بالمترادف؟ وكيف كانت دليلاً للقائلين بالمترادف؟
- س٧: وضع موقف أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني من قضية المترادف.
- س٨: وضع كيف يكون المترادف مصدر قوة وثناء حقيقي للغة العربية.
- س٩: ماذا قال البيضاوي رحمته الله عن المترادف؟ وما الفائدة التي نجتنيها من هذا القول؟
- س١٠: اذكر الركائز التي تساعد على تحرير محل النزاع في قضية المترادف.
- س١١: اذكر مثلاً يوضح أن الأصل في الكلمات القرآنية التباين النسبي في المعنى، وعدم المترادف الكامل.
- س١٢: اذكر بعض الكتب المؤلفة في المترادف في القرآن.

## المبحث الخامس: الالتفات



أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

الأساس والتنوير في أصول التفسير



ويتضمن المطالب الآتية:

- المطلب الأول: تعريف الالتفات.
- المطلب الثاني: فوائد الالتفات.
- المطلب الثالث: أقسام الالتفات.

### المطلب الأول: تعريف الالتفات:

#### ما تعريف الالتفات لغة واصطلاحًا؟

الجواب: الالتفات لغة: مأخوذ "من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا"<sup>(١)</sup>، والمشهور "أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"<sup>(٢)</sup>... والطرق الثلاثة هي التكلم، والخطاب، والغيبة... ولكن علماء أصول التفسير يعرفون الالتفات تعريفًا أشمل فيقولون هو: تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر<sup>(٣)</sup>.

(١) المثل السائر (٢/٣).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٧٢).

(٣) أصول في التفسير (ص: ٣٥).

المطلب الثاني: فوائد الالتفات:



ما فوائد الالتفات؟

الجواب: استخدم العرب هذا الأسلوب، ولا يكون الالتفات عند البلغاء إلا لبراعة كلامية،

ومعانٍ سامية، فمنها:

(١) بين السكّاكبي رحمته الله الفائدة الأولى له في (المِفْتَاح) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْعَرَبَ يَسْتَكْثِرُونَ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ، فقال: «أَفْتَرَاهُمْ يُحْسِنُونَ قِرَى الْأَشْبَاحِ؛ فَيُحَالِقُونَ بَيْنَ لَوْنٍ وَلَوْنٍ، وَطَعْمٍ وَطَعْمٍ، وَلَا يُحْسِنُونَ قِرَى الْأَرْوَاحِ، فَيُحَالِقُونَ بَيْنَ أُسْلُوبٍ وَأُسْلُوبٍ؟»<sup>(١)</sup>، وبعضهم زعم أن فائدة الالتفات أنه عادتهم في أساليب كلامها. ونقد ابن الأثير الموصلي رحمته الله الاقتصار على هذا السبب، وقال: "هذا القول هو عكاز العميان"<sup>(٢)</sup>.

(٢) حمل المخاطب على الانتباه لتغير وجه الأسلوب عليه؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن لنشاط السامع، وأكثر إيقاظاً له، ودفع الملل عنه، كما يقول الشوكاني رحمته الله<sup>(٣)</sup>،

(١) مفتاح العلوم (ص: ١٩٩)، والأشباح هنا الأجساد، وليس كما يُستعمل في العرف الحاضر.

(٢) المثل السائر (٢/ ٣).

(٣) فتح القدير (١/ ٣٥).

ودفع السامة والملل عن السامع بتنوع الأسلوب؛ لأن الأسلوب الواحد قد يعمل السامع، وقد يسمي أهل العلم هذا (التفنن).

### كيف ينظر ابن عاشور رحمته للالتفات؟

الجواب: والالتفات من أنواع التفنن عند الطاهر بن عاشور رحمته، ومثله عنده الإتيان بالمرادف، فقد قال: "وَمِنْ أَسَالِيْبِهِ مَا أُسْمِيَهُ بِالتَّفَنُّنِ، وَهُوَ بَدَاعَةُ تَنَقُّلَاتِهِ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ بِطَرَائِقِ الإِعْتِرَاضِ، وَالتَّنْظِيرِ، وَالتَّذْلِيلِ، وَالإِثْبَانِ بِالمُتَرَادِفَاتِ عِنْدَ التَّكْرِيرِ؛ بِجُنُبًا لِثِقَلِ تَكْرِيرِ الكَلِمِ، وَكَذَلِكَ الإِكْتِنَاؤُ مِنْ أَسْلُوبِ الإِلْتِفَاتِ المَعْدُودِ مِنْ أَعْظَمِ أَسَالِيْبِ التَّفَنُّنِ عِنْدَ بُلْغَاءِ العَرَبِيَّةِ، فَهُوَ فِي القُرْآنِ كَثِيرٌ، ثُمَّ الرُّجُوعُ إِلَى المَقْصُودِ فَيَكُونُ السَّامِعُونَ فِي نَشَاطٍ مُتَجَدِّدٍ بِسَمَاعِهِ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهِ"<sup>(١)</sup>.

### ماذا قال الموصلي رحمته عن هذه الفائدة؟ وما رأيك بذلك؟

(٣) الجواب: ونقده الموصلي رحمته بأن ذلك دليل على أن السامع يحمل من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام لا وصف له؛ لأنه لو كان حسناً لما ملَّ...<sup>(٢)</sup>... والتعقيب ليس بسديد على إطلاقه... إذ زيادة الحسن بالالتفات لا ينفي أصل الحسن في الكلام، ولأن الالتفات من أصول تلك اللغة المشوقة كالترادف، والحذف، والتشبيه، وغيره. فإن انتقد ناقد الالتفات فلينتقد كل الأساليب والبلاغيات العربية. حملة على التفكير في المعنى، لأن تغيير الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب<sup>(٣)</sup>، فالالتفات يلفت النظر، وجذب الانتباه لهذا التغيير المفاجئ الذي طرأ على الكلام، ويدفع السامع ليفكر في المعنى الذي لأجله تغير السبب، وهذا يخضع للفهم الذي يؤتاه الله عز وجل عبداً في القرآن.

(٤) ومن فوائده تعظيم شأن المخاطب وإجلاله، أو تحقيره وإهماله، أو تهديده وزجره.

ويمكن أن تأتي قاعدة من قواعد التفسير في باب الالتفات فنقول:

**القاعدة السابعة من القواعد اللغوية: الأصل في الالتفات إفادة معنى يريد المتكلم فلزم البحث والتأمل فيه.**

ولكن الزمخشري يرى أن فائدة الالتفات تنحصر في أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.

(١) التحرير والتنوير (١/ ١١٦).

(٢) المثل السائر (٢/ ٤).

(٣) أصول في التفسير (ص: ٣٥).

المطلب: الثالث: أقسام الالتفات:



أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

الأساس والتنوير في أصول التفسير

ولعلك تتساءل هل الالتفات نوع واحد أو له أنواع وأقسام؟

فأجيبك نعم، له أقسام، وهي:

القسم الأول: الالتفات من طريق إلى آخر من الطرق الأربعة مثل:

(١) الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فابتدأ بالكلام غائباً، ثم تحول إلى الخطاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. والفائدة فيه: أن الحمد دون العبادة ألا تترك تحمد نظيرك ولا تعبد، فاستعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولم يقل ﴿الحمد لك﴾، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات، قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وكذلك في آخر السورة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] بالخطاب لما ذكر النعمة، ثم أتمّ بالغيبة "تحنّنا وتلطّفنا مع المخاطب بشأنهم. وقال بعضهم: بدأ العبد يثني على ربه بأسلوب الكلام عن الغائب في الآيات الأربع الأولى؛ لأن الله ﷻ لا تدركه الأبصار، ومن هو العبد حتى يقترب منه، حتى إذا بلغ العبد أعظم الشاء في الآية

الرابعة فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(١)</sup> الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ١ - ٤] استحق أن ينقله الله ﷻ إلى مرتبه القرب.. هنا خاطب ربه ﷻ بعهد بينه وبينه، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وإذ وصل إلى تلك المرحلة استحق أن يجترئ على أن يسأل الله ﷻ الإعانة على تحقيق هذا العهد، فخاطب ربه ﷻ قائلاً: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].. وهكذا في بقية أمثلة الالتفات.

ولكل موضع فوائده الخاصة حسب ما يقتضيه المقام.

ومما جاء من الالتفات مراراً على قصر متنه وتقارب طرفيه قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ [الإسراء: ١] بلفظ الواحد غائباً، ثم قال ﴿الَّذِي بَرَكْنَا﴾ [الإسراء: ١] بلفظ الجمع، ثم قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وهو خطاب غائب<sup>(١)</sup>.

(٢) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا...﴾ [يونس: ٢٢]، فانتقل من الخطاب ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ إلى الغيبة بقوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾.

(٣) الالتفات من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]، فحول الكلام من الغيبة ﴿أَخَذَ اللَّهُ﴾ إلى التكلم في قوله ﴿وَبَعَثْنَا﴾.

(٤) الالتفات من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفَرَةَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ١-٢]، فحول الكلام من التكلم ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ إلى الغيبة بقوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾ بدلاً من {لنا}.

### القسم الثاني: الالتفات من الإخبار إلى الطلب:

كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواهُ﴾ [الأنعام: ٧١]، فالإخبار قوله: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ﴾، والأمر قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواهُ﴾، ولم يقل: وأن نقيم الصلاة ونتقيه<sup>(٢)</sup>.

### القسم الثالث: الإخبار عن الفعل الماضي والمستقبل وعن المستقبل بالماضي:

ومن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥] فإنه إنما عطف المستقبل ﴿يَصُدُّونَ﴾ على الماضي ﴿كَفَرُوا﴾؛ لأن كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفرًا ثانيًا، وصددهم متجدد على الأيام.

(١) المثل السائر (٢/ ٥).

(٢) ينظر: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وأثره في المعنى عند المفسرين (ص: ١٠٢٢، ١٠٢٣).

ومن أمثلة الثاني وهو التحول من المستقبل إلى الماضي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، فإنه إنما قال: ﴿فَفَزِعَ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿يُنْفَخُ﴾ وهو مستقبل؛ للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة.

#### القسم الرابع: الالتفات من الفعل الحاضر إلى فعل الأمر:

كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَنُشِهُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، فإنه قال: ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا﴾ [هود: ٥٤] ولم يقل: (وأشهدكم) ليكون موازناً له ومعناه؛ لأن إشهد الله ﷻ على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهدهم فما هو إلا تهاون بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، وجيء به على لفظ الأمر، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد عليّ أني أحبك، تحكماً به واستهانة بحاله<sup>(١)</sup>.

#### أسئلة تفويمية:

- س١: ما تعريف الالتفات لغة واصطلاحاً؟
- س٢: ما فوائد الالتفات؟
- س٣: من فوائد الالتفات دفع الملل، لكن الموصلي ﷻ جعلها قدحاً للكلام لا وصفاً، وضح ذلك، وما رأيك بهذا الكلام؟
- س٤: اذكر أقسام الالتفات.
- س٥: اذكر مثلاً للالتفات من الإخبار إلى الطلب.

المبحث السادس: ضمير الفصل



أ.د. عبدالسلام مقبل المجيدي

الأساس والتنوير  
في أصول التفسير

تعريف ضمير الفصل:

ما المراد بضمير الفصل؟

الجواب: هو: ضَمِيرٌ بِصِيغَةِ الْمَرْفُوعِ مُطَابِقٌ لِمَا قَبْلَهُ تَكَلُّمًا وَخَطَابًا وَعَيْبَةً، إِفْرَادًا وَعَجْرَةً، وَلَا مَحَلَّ لِضَمِيرِ الْفَصْلِ مِنَ الْإِعْرَابِ، يَقَعُ بَعْدَ مُبْتَدَأٍ، أَوْ مَا أَصْلُهُ الْمُبْتَدَأُ، وَقَبْلَ خَبَرٍ كَذَلِكَ إِذَا كَانَ معرفتين.

أحوال ضمير الفصل:

اذكر أحوال ضمير الفصل، ومثل لكل حال بمثال.

الجواب: لضمير الفصل عدة أحوال، وهي:

الحالة الأولى: ضمير المتكلم:

كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصفات:

١٦٥].

الحالة الثانية: ضمير المخاطب (بالفتح):

كقوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

الحالة الثالثة: ضمير المخاطب (بالكسر):

كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٩].

الحالة الرابعة: ضمير الغائب:

كقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ [الزمل: ٢٠]،

﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ١].<sup>(١)</sup>

فوائد ضمير الفصل:



## فوائد ضمير الفصل



أ.د. عبدالستار محمد بن محمد

الأساس والتنوير  
في أصول التفسير

عَدَدُ فَوَائِدِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ.

الجواب: من فوائد إيراد ما يأتي:

الأولى: التوكيد، فإن قولك: زيد هو أخوك، أوكد من قولك: زيد أخوك.

الثانية: الحصر، وهو اختصاص ما قبله بما بعده، فإن قولك: المجتهد هو الناجح يفيد اختصاص

المجتهد بالنجاح<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن (٢/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) «تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة» (المقدمة/ ٦٨).

**الثالثة:** الإِعْلَامُ بِأَنَّ مَا بَعْدَهُ حَبْرٌ لَا تَابِعٌ<sup>(١)</sup>: أي التمييز بين كون ما بعده خبراً، أو تابعاً (صفة)، فإن قولك: زيد الفاضل يحتمل أن تكون الفاضل صفة لزيد، والخبر منتظر، ويحتمل أن تكون الفاضل خبراً، وإذا قلت: زيد هو الفاضل، تعين أن تكون الفاضل خبراً، لوجود ضمير الفصل.

**الرابعة:** تقوية الكلام، فيظهر التعظيم أو الاهتمام بالإطناب بذكر هذا الضمير، كما ترى من الأمثلة، ولهذا سَمَّاهُ الْكُوفِيُّونَ دِعَامَةً؛ لِأَنَّهُ يُدْعَمُ بِهِ الْكَلَامُ أَيُّ يُقَوَّى وَيُؤَكَّدُ، وَبَنَى عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَا يُجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَلَا يُقَالُ: زَيْدٌ نَفْسُهُ هُوَ الْفَاضِلُ<sup>(٢)</sup>.

### أسئلة تفويمية:

- س ١: ما المراد بضمير الفصل؟
- س ٢: عدد أحوال ضمير الفصل.
- س ٣: مثل بمثال واحد لأحوال ضمير الفصل.
- س ٤: اذكر فوائد ضمير الفصل.

(١) «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (٢ / ٩٢٦).

(٢) «معني اللبيب عن كتب الأعراب» (ص ٦٤٥).

## المبحث السابع: حوار التلقين

## مفهوم حوار التلقين أو عطف التلقين:

## ما المراد بحوار التلقين؟

الجواب: حوار التلقين من الأساليب القرآنية المميزة في القرآن المجيد ، واشتهر عند أهل العلم بعطف التلقين لكثرة وجوده بحروف العطف، وخلاصته:

أن تعطف جملة على جملة على أن يكون المتكلم بالجملة الأولى غير المتكلم بالجملة الثانية (المُلقِّن) مع التسليم بمضمون الجملة الأولى، فكأن الطرف الثاني يلحن الطرف الأول كلامًا يكمل به ما بدأه الطرف الأول كلامه طالبًا أو راغبًا أو منبهًا. قال الطاهر رحمته: "هو تلقين السامع المتكلم ما يراه حقيقًا بأن يلحقه بكلامه، فقد يكون بطريقة العطف، وهو الغالب"<sup>(١)</sup>.

## أمثلة على عطف التلقين:

## فإن قلت: هلاً ذكرت أمثلة على عطف التلقين؟

الجواب: من أمثله ما يأتي:

**المثال الأول: قوله تعالى:** ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤]، فهو عطف على الكاف في "جاعلك"، فهنا يدخل ضمن مسمى عطف التلقين، إلا أن ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) رحمته قال عنه: هو كعطف التلقين، وقد سبق البيضاوي الإمام سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) رحمته في هذه التسمية.

**المثال الثاني: قوله تعالى جده:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وبعد ذلك في الآية: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وسماه البيضاوي رحمته عطف تلقين. وفي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المُسمَّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ) رحمته ينقل عن البيضاوي رحمته سبب تفريقه بين الموضوعين: "قال: راعيت الأدب في الأول تفاديًا عن جعله تعالى شأنه ملقنًا، وحاصله أنه في الحقيقة معمول لمقدر، والتقدير: اجعلني إمامًا، واجعل من ذرئتي أئمة، فحذف ذلك، وأوهم أنه معطوف على ما قبله"<sup>(٢)</sup>، وعندني أن تقرير البيضاوي رحمته أحسن، وتقرير الشهاب متكلف.

**المثال الثالث: قد يكون بطريقة الاستفهام الإنكاري والحال:** كقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، فإن الواو مع الوصلية واو الحال، وليس واو العطف، فهو إنكارٌ على إلحاقهم المستفهم عنه بقولهم ودعواهم<sup>(٣)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٤).

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٢/ ٢٣٣).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٤).

ولبيان أكثر يمكن أن نذكر مثالين من السنة:

**المثال الرابع:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اِرْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ». قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ اِرْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ». قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَالْمُقَصِّرِينَ»<sup>(١)</sup>.

**المثال الخامس:** قد يكون التلقين بطريقة الاستثناء كما قال أن النبي ﷺ في حرم مكة: «لَا يُحْتَلَى حَلَاهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجْرُهَا، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا تُنْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُعْرِفٍ»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: إِلَّا الْإِذْحَرَ لِصَاعَتِنَا وَقُبُورِنَا؟ فَقَالَ: «إِلَّا الْإِذْحَرَ»<sup>(٢)</sup>.

### هل لعطف التلقين تسمية أخرى؟

الجواب: بعضهم يسميه عطف التماس<sup>(٣)</sup>؛ أدبًا مع الله ﷻ أو مع رسوله ﷺ، ولكن مفهوم التلقين لا يعني فرض الطرف الثاني على الأول قوله.

### أسئلة تفويمية:

س١: ما المراد بحوار التلقين؟

س٢: اذكر بعض الأمثلة على حوار التلقين.

س٣: هل لعطف التلقين تسمية أخرى؟

(١) البخاري (١٧٢٧).

(٢) البخاري (١٣٤٩).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/١٢٥٢).

## المبحث الثامن: بدع التفسير في اللغة

## مفهوم بدع التفسير:

## ما المراد بمفهوم بدع التفسير؟ ومن أول من استعمله؟

الجواب: قد يذهب بعض اللغويين أو بعض المتكلمين مذهباً أقرب إلى تأويل اللعب في تفسير مفردة قرآنية أو تركيب قرآني، وذلك رغبة في إيراد شيء في معنى الآية لم يقله سابق لغرابته، وسمى الزمخشري رحمته التفسير اللغوي الذي جانبه الصواب: "بدع التفسير"<sup>(١)</sup>.

## أمثلة على بدع التفسير:

## أذكر أمثلة على بدع التفسير.

الجواب: من الأمثلة على ذلك ما يأتي:

ذكر الزجاج والمبرد -رحمهما الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ (الزخرف: ١٥) أن "الجزء هاهنا البنات... قال الماوردي رحمته: والجزء عند أهل العربية البنات... قال الشاعر:

إن أجزاء حرة يوماً فلا عجب      قد تجزئ الحرة المذكار أحياناً<sup>(٢)</sup>

فعلق الزمخشري رحمته على ذلك بقوله: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث... وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يفتنهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزاء المرأة، ثم صنعوا بيتاً...<sup>(٣)</sup>.

وقال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِئْمَانِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] "ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظه أم بهاء حكيمته؟"<sup>(٤)</sup>. وقد تأثر باصطلاحه هذا عدد من المفسرين كالألوسي، والشوكاني -رحمهما الله-<sup>(٥)</sup>.

## هل يعد التلاعب السياسي بمعاني الآيات من بدع التفسير؟

الجواب: ومن أمثلة (بدع التفسير) محاولة التلاعب السياسي بمعاني الآيات بإيراد معانٍ غير صحيحة مقترنة بروايات غير موثوقة، مثل: ما أورده بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزَلِّ عَلَيْهِنَّ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، فقد قال الطاهر بن عاشور رحمته: "ومن بدع التفاسير وركيبتها ما نسبته رحمته إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نزلت

(١) بنظر: الكشاف (١/٢٣١)، (١/٢٩٠)، (٢/٥٠٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٦١).

(٣) الكشاف (٤/٢٤١).

(٤) الكشاف (٢/٣٦٩).

(٥) انظر: روح المعاني (١١/١٧٦)، فتح القدير (١/١٥٤).

هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا وَفِي بَنِي أُمِّيَّةَ، فَتَنَدُّ لَنَا أَعْنَاقُهُمْ بَعْدَ صُعُوبَةٍ، وَيَلْحَقُهُمْ هَوَانٌ بَعْدَ عِزَّةٍ، وَهَذَا مِنْ تَحْرِيفِ كَلِمِ الْقُرْآنِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنُحَاشِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ يَقُولَهُ، وَهُوَ الَّذِي دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ يُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ. وَهَذَا مِنْ مَوْضُوعَاتِ دُعَاةِ الْمَسْوَدَةِ مِثْلِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ، وَكَمْ لَهُمْ فِي الْمَوْضُوعَاتِ مِنَ اخْتِلَاقٍ، وَالْقُرْآنُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُذِهِ السَّفَاسِفُ" (١).

### أسئلة تفويمية:

- س ١: عرف مفهوم بدع المفسرين.
- س ٢: من أول من استعمل هذا المصطلح؟
- س ٣: اذكر مثالا على بدع التفسير.
- س ٤: هل يعد التلاعب السياسي بمعاني الآيات من بدع التفسير؟ وضح ذلك.

## المبحث التاسع: النحو القرآني

## مفهوم النحو القرآني:

## ما مفهوم النحو القرآني؟ وكيف يمكن التعامل معه؟

الجواب: قد يكون سبب الصعوبة في فهم القرآن الكريم مخالفة التعبير القرآني لأسلوب نحوي شهير... فتضطرب أقوال النحاة، ومن ثم المفسرين في توجيه التعبير القرآني، ومن ثم يمكن وضع القاعدة الآتية للتعامل مع النحو القرآني:

**القاعدة الثامنة من القواعد اللغوية: النحو في لغة القرآن الكريم هو العمدة للنحو العربي فما صح من قراءة للقرآن الكريم استنبط منه القاعدة العربية:**

## ما الأمور التي وقع فيها المعترضون على لغة القرآن الكريم؟

الجواب: وقد وقع لبعض النحويين والمعتضين على لغة القرآن الكريم في الآتي:

(١) ترجيح قواعدهم النسيبية على القراءات القرآنية الثابتة، مع أنهم قد يستدلون على إثبات القاعدة النحوية التي ارتضوها بيت مجهول... وهذا غريب؛ إذ كيف يرتضون الاستدلال على تلك القاعدة بيت مجهول ولا يرتضون القراءة المنقولة بالسند الصحيح أو بالتواتر القرائي على الأقل؟ ولذا قال الفخر الرازي رحمته: "وكثيراً ما أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره بيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى" (١).

(٢) يلجأ بعض النحاة إلى تأويل التركيب القرآني - ولو كان مجمماً عليه عند القراء - على تلك القواعد (٢)، وبناء على ذلك "وقع في نحو القرآن خلل عجيب، وذلك: أن جماعة منهم اختاروا مذهب سيويوه رحمته، وما لم يوافقهم فهم يؤولونه - وإن كان تأويلاً بعيداً" (٣).

(٣) وبعض النحاة قد يلجأ إلى إبطال القراءة الصحيحة، بل ويقولون: هو لحن لا تحل القراءة به (٤)، مع أنك لو نقبت عن تلك اللغة التي أتى بها القرآن لوجدت لكل وجه دليلاً وأصلاً من اللغة.

## ضوابط ومفاهيم حول النحو القرآني:

## وقد تسأل: ما الضوابط المتعلقة بالنحو القرآني؟

الجواب: ويمكن تلخيص أهم النقاط في موضوع النحو القرآني فيما يأتي:

(١) ينبغي "اتباع الأقوى، وما كان أوفق للسياق والسباق، سواء كان مذهب سيويوه رحمته، أو مذهب الفراء رحمته" (١)، وتفسير الباحث للأقوى بأنه المعتمد سنداً لا الأفشى لغة؛ لأنه قد ثبت أن

(١) مفاتيح الغيب (٤/٤٣٥).

(٢) يراجع في ذلك: د. أحمد مكي الأنصاري: نظرية النحو القرآني، وكتابه: سيويوه والقراءات - دراسة تحليلية معيارية -، ود. محمد عبد القادر هنادي: ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم، ود. عبد الفتاح الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم في مجلدين.

(٣) العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التفسير (ص: ٣٠١).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/١٩٧).

من مقاصد القرآن الكريم الحفاظ على العربية، ولذا تضمن بعض الغريب المستعمل عند بعض قبائل العرب للمحافظة على وجوه العربية المختلفة.

(٢) اللغة القرآنية والنحو القرآني يرجعان إلى مرتبتين:

**المرتبة الأولى:** مرتبة مجمع عليها في نقل جميع القراء: وهي الأكثر الأعم في القرآن الكريم.

**المرتبة الثانية:** مرتبة مختلف فيها في نقل القراء فنقلها بعضهم، ونقل آخرون وجهًا آخر، وقد يكون أحد النقلين أشهر فلا يعني هذا تقديمه على الآخر ما دام الآخر صحيحًا في النقل، ولا يلتفت إلى طعن بعض النحاة فيه؛ لأن الركن اللغوي الذي أجمع عليه أهل العلم في العربية في نقل القرآن الكريم بقراءته كما يقول ابن الجزري رحمته الله: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه... وقلنا في الضابط ولو بوجه نريد به وجهًا من وجوه النحو، سواء كان أفصح، أم فصيحًا، مجمعًا عليه، أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كإسكان ﴿بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧]، ونحوه، ﴿سَيِّئًا﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿يَبْتِئُ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿وَمَكَرَ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿تُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، والجمع بين الساكنين في تاءات البزي، وإدغام أبي عمرو... قال الحافظ أبو عمرو الداني رحمته الله في كتابه (جامع البيان): وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها"<sup>(٢)</sup>.

قال الزرقاني رحمته الله -تعقيبًا-: "وهذا كلام وجيه فإن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى، وكلام رسوله، وكلام العرب، فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وما فعدوا من قواعد، ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه، لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة لحكمها فيه، وإلا كان ذلك عكسًا للآية، وإهمالًا للأصل في وجوب الرعاية"<sup>(٣)</sup>.

ولذا لا ينبغي للنحوي أن يؤثر اختياره على النقل القرائي الصحيح، كما قال ابن خالويه رحمته الله: "تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة، المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبًا

(١) العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التفسير (ص: ٣٠١).

(٢) النشر (١/٨).

(٣) مناهل العرفان (١/٢٩١).

من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجهاً لا يمنع، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار<sup>(١)</sup>.

### مثال على النحو القرآني وتأويل بعض النحاة له:

#### اذكر مثلاً يوضح مفهوم النحو القرآني وكيفية تعامل النحاة معه؟

**الجواب:** يضرب الكاتب هنا مثلاً مجمعاً عليه وجد تأويلاً كثيراً من بعض النحاة لمجرد أنه لم يندرج ضمن قواعدهم النسبية، وهو قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] فإن كلمة ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ متفق على قراءتها في المتواتر هكذا، ولكنها قد أثارت إشكالاً كبيراً، واحتاج النحاة إلى التماس توجيه لها؛ لأنها بين مرفوعين وهي منصوبة أو مجرورة، حتى تجر بعضهم فأشار إلى أنها غلط من الكاتب، كما وردت بذلك الروايات الشاذة التي أشار إليها الطبري رحمته، مع أن كثيراً من النحاة قبلوها، ومما قالوه في تحريجها الإعرابي: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، من صفة ﴿الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين ﴿الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ ما اعترض من الكلام فطال، نصب ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ على وجه المدح. قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله. وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه. وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب. واستشهدوا لقولهم ذلك بمثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]<sup>(٢)</sup>.

ووضع الدهلوي رحمته لذلك قاعدة كلية منطلقاً من النحو القرآني فقال: "مخالفة المحاورة المشهورة أيضاً محاورة"<sup>(٣)</sup> وشرح ذلك بقوله: "وكثيراً ما يتفق للعرب الأول أن يجري على ألسنتهم في أثناء الخطب والمحاورات، ما يخالف القاعدة المشهورة، وحيث نزل القرآن بلغة العرب الأول، فلا عجب أن تقع "الياء" أحياناً في موضع "الواو"، أو يرد المفرد مقام التثنية، أو المؤنث في مقام المذكر، فالحقق: أن يفسر ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ بمعنى المرفوع"<sup>(٤)</sup>، وفي توجيه هذا الموضع أقوال آخر ليس هذا موضع بسطها، إنما أريد من البحث أن يقال: إن الإعراب القرآني مستقل بذاته ما دامت القراءة قد ثبتت بإسناده المعتر عند القراء.

(١) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (٦١/١).

(٢) تفسير الطبري (٣٦٢/٤).

(٣) العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التفسير (ص: ٣٠١).

(٤) العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التفسير (ص: ٣٠١).

**أسئلة تفويمية:**

- س ١: ما مفهوم النحو القرآني؟ وكيف يمكن التعامل معه؟
- س ٢: ما الأمور التي وقع فيها المعترضون على لغة القرآن الكريم؟
- س ٣: ما الضوابط المتعلقة بالنحو القرآني؟
- س ٤: اذكر مثلاً يوضح مفهوم النحو القرآني وكيفية تعامل النحاة معه؟
- س ٥: اذكر مراتب اللغة القرآنية والنحو القرآني.

## المبحث العاشر: تكرار النكرة والمعركة: الدلالة والتفسير

## تكرار النكرة والمعركة: الرلالة والتفسير



أولاً

بيان قاعدة تكرار النكرة  
والمعركة

ثانياً

مناقشة بعض  
المحققين لهذه القاعدة

ثالثاً

توجيه تكرار المعركة  
والنكرة في سورة الشرح

رابعاً

الكلام في الحديث المروي  
فيها: «لن يغلب عسر يسرين»

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

الأساس والتنوير  
في أصول التفسير

أنتج التدبر القرآني عددًا من القواعد التي حاول أصحابها إظهار الجمال والجلال في النظم القرآني، ومن ذلك ما تداوله كثيرٌ من المفسرين والنحويين حول (تكرار النكرة والمعركة) حيث ظهرت استنباطاتهم هنا أخذًا من تدبر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] (١).

ولتحقيق الأمر حول هذه القاعدة، وبيان جلال المعاني القرآنية وعظمتها يمكننا إجمال الكلام في المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان قاعدة تكرار النكرة والمعركة.

المطلب الثاني: مناقشة بعض المحققين لهذه القاعدة.

المطلب الثالث: توجيه تكرار المعركة والنكرة في سورة الشرح.

المطلب الرابع: الكلام في الحديث المروي فيها: «لن يغلب عسر يسرين».

(١) هذا بحث كتب أصله لموقع "إسلام ويب" في ٢٣/٠٣/٢٠١٤.

**المطلب الأول: بيان قاعدة تكرار النكرة والمعرفة**

تتكون هذه القاعدة من جزأين:

**الجزء الأول:** إذا تكررت المعرفة لفظاً فهي الأولى معنى.

**الجزء الثاني:** إذا تكررت النكرة لفظاً فالثانية غير الأولى.

وبيّن عددٌ من أهل العلم هذه القاعدة، ومنهم الطحاوي رحمته الله في (شرح مشكل الآثار)<sup>(١)</sup>، والسّمين الحلبي رحمته الله في (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)<sup>(٢)</sup> فقالوا: العرب إذا أتت باسمٍ ثم أعادته مع الألف واللام كان هو الأول، نحو: «جاء رجلٌ فأكرمْتُ الرجل»، أما إذا كان الاسم المكرران نكرة فإن الأول غير الثاني غالباً؛ لأن تكرار النكرة يدل على تعددها، فالنكرة الأولى غير النكرة الثانية.

**أمثلة لتكرار المعرفة<sup>(٣)</sup>:****اذكر مثلاً لتكرار المعرفة.**

الجواب: مثلوا للجزء الأول من هذه القاعدة بعدد من الأمثلة القرآنية منها:

(١) قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦]

قالوا: ولو أعاده نكرة لكان غير الأول.

(٢) قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] فالصراط في الموضع الأول معرفة بأل، وفي الثاني معرفة بالإضافة، فالمراد بالاسم الأول هو عينه الاسم الثاني، فصراط الذين أنعم الله عليهم هو نفس الصراط المستقيم.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصفات:

١٥٨]، فالجنة الثانية هي الأولى.

(٤) قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، فالدين

ثانياً هو عينه الأول كما قالوا.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[غافر: ٩] فذكروا أن معنى السيئات ثانياً هو معناها أولاً، مع أن الثانية أعم من الأولى كما هو

واضح.

**أمثلة لتكرار النكرة:****اذكر مثلاً لتكرار النكرة.**

الجواب: مثلوا للجزء الثاني من هذه القاعدة بعدد من الأمثلة منها:

(١) شرح مشكل الآثار (٢٥٤/٥).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٤٦/١١).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٩٩/٤)، الإتيان في علوم القرآن (٣٥٢/٢).

(١) ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ عُذُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] فالشهر الثاني غير الشهر الأول، ويكون المجموع شهرين.

(٢) وأشهر الأمثلة التي مثلوا بها، هو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] فقالوا لَمَّا أعاد العُسْرَ الثاني أعاده بآل، ولَمَّا كان اليُسْرَ الثاني غير الأول لم يُعده بآل<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: مناقشة بعض المحققين لهذه القاعدة

#### وربما تسأل: هل هذه القاعدة مطردة؟

الجواب: ذهب بعض المحققين إلى أن هذه القاعدة ليست مطردة ولا مطلقة، بل خطأ عدد من المحققين القول بإطلاق هذه القاعدة، ومنهم أبو علي الجرجاني رحمته الله في كتابه (نظم القرآن)- وليس هو عبد القاهر-، وابن هشام رحمته الله في (مغني اللبيب)، حيث قال في الباب السادس: "في التحذير من أمور اشتهرت بين العرب والصَّوَابِ خِلافُهَا، وَهِيَ كَثِيرَةٌ وَالَّذِي يَحْضُرُنِي الْآنَ مِنْهَا عَشْرُونَ مَوْضِعًا"، ثم ذكر هذه القاعدة في الموضع الرابع عشر فقال: "قولهم: إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى وَإِذَا أُعِيدَتْ مَعْرِفَةٌ أَوْ أُعِيدَتْ الْمَعْرِفَةُ مَعْرِفَةٌ أَوْ نَكْرَةٌ كَانَتِ الثَّانِي عَيْنَ الْأُولَى"<sup>(٢)</sup>، ثم استشكلها رحمته الله، وذكر بعض ما يرد على هذه القاعدة، ومن أبرز ما يعترض الاطراد المطلق في هذه القاعدة ورود مواضع قرآنية لا يمكن تطبيقها عليها، ومنها:

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿\* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] فتكرر النكرة (ضعف-قوة) لا يعني أن لهما المدلول ذاته كما هو واضح.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فلو عملت القاعدة لكانت النكرة الثانية غير الأولى، ويكون هناك إلهان-تعالى الله- فالله سبحانه إله واحد، والضمير في الأول (وهو) يغني عن التكلف الذي ذكره بعضهم حول توجيه الآية عند الإصرار على إعمال القاعدة المذكورة، فالمبتدأ (وهو) هو المسند إليه، وما بعده خبر عنه، فهو المسند بما يحويه من الاسم الموصول، وجملة صلته كلها تعبر عن إله واحد سبحانه، أشير إليه بقوله (وهو)، والمعنى ألوهيته سبحانه ثابتة في السماء، كما هي ثابتة في الأرض.

وما ذكر في توجيه هذه الآية يكفي لعدم إيراد إشكال بناء على تقعيد القاعدة المذكورة، ثم البحث عن سبيل حلّه.

(٣) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] فالمعرفة غير النكرة فَالصُّلْحُ الأول خاص وَهُوَ الصُّلْحُ بَيْنَ الرَّوَجَيْنِ، وَالثَّانِي عَامٌ وَهَذَا يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْبَابِ كُلِّ صُلْحٍ.

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص: ٢٠٤).

(٢) مغني اللبيب (٢/٧٣١، ٧٣٢).

(٤) قوله تعالى: ﴿رَدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] وهنا المعرفة غير النكرة فالعذاب الأصلي (وهو المعرف) نوع، والعذاب الزائد يحتمل أن يكون مغايرًا له، أو هو ذاته أعيد، ولا دليل على تعيين أحد الأمرين.

(٥) قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] فَإِنَّ الْمُلْكَ الْأَوَّلَ، عَامٌ وَالثَّانِي حَاصٌّ.

(٦) قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] تكررت هنا المعرفة فالإحسان الأول غير الثاني، فالأول هو الْعَمَلُ، وَالثَّانِي هو الثَّوَابُ، وهذا يذكر استطرادًا لبيان أنواع التكرار معرفة أو نكرة.

(٧) قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فَإِنَّ النَّفْسَ الْأُولَى هُوَ النَّفْسُ الْقَاتِلَةُ، وَالثَّانِيَةُ هِيَ الْمَقْتُولَةُ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الْآيَةِ، وَهَذَا الْمِثَالُ كَسَابِقُهُ.

(٨) ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: ١٥٣] فمعنى المعرفة ﴿الْكِتَابِ﴾ يختلف عن معنى النكرة المماثلة لها لفظًا ﴿كِتَابًا﴾، فالكتاب أولاً هو التوراة والإنجيل، والكتاب ثانيًا هو غيرهما.. مع الاشتراك العام في جنس الكتاب، لكن المماثلة التامة منتفية.

(٩) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] حيث تكررت هذه الكلمة (ويل) إحدى عشرة مرة مع تكرار كلمة (المكذبين) وهي معرفة، فلا يقال: إن اللاحقات فيها غير السابقات عينًا، بل قد يكون الويل اللاحق عين الويل السابق في الآيات، وقد يكون غيره من حيث تناول الأول لبعض جنس الويل وتناول اللاحق لبعض آخر من الجنس ذاته، ولذا قال الطاهر بن عاشور: "صارت جملة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] بمنزلة التذييل، فحصل في هذا النظم أسلوب رائع، ومعان بدائع... ثم إن هذه الجملة صالحة لمعنى الخبرية ولمعنى الإنشاء؛ لأن تركيب "ويل له" يستعمل لإنشاء بكثرة" (١).

وبناء على ذلك مال ابن هشام رحمته الله إلى تعديل هذه القاعدة لتكون أكثر دقة بأن يقال: إذا أعيدت النكرة معرفة فهي عينها، وإذا أعيدت نكرة فهي غيرها، وأضاف: "مع عدم القرينة، فأما إن وجدت قرينة فالتعويل عليهما"، والقرينة المشار إليها تكون في الجزأين (المعرفة والنكرة) وذلك بسبب وقوع الاحتمال، والقرينة تعين المراد هو السابق أم غيره وما هو وجه المغايرة (٢).

### المطلب الثالث: توجيه تكرار المعرفة والنكرة في سورة الشرح:

ذكروا توجيهًا يبين سبب التكرار وقوة المعنى فيه في آيتي سورة الشرح فقالوا:

الظاهر في آية سورة الشرح أن الجملة الثانية تكرر للجملة الأولى، كما تقول: إن لزيد دارًا إن لزيد دارًا، وعلى هذا فالثانية عين الأولى.

### ما معنى التكرار في آية الشرح؟

(١) التحرير والتنوير (٤٢٧/٢٩).

(٢) ينظر: مغني اللبيب (٧٣٣/٢، ٧٣٤).

الجواب: لهذا التكرار معانٍ منها:

(١) اصطحاب اليسر للعسر ومقارنته، ولكننا -البشر- قوم يستعجلون: ففي (الكشاف): "أراد أن الله ﷻ يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسلية وتقوية القلوب"<sup>(١)</sup>.

(٢) وجود (اليسرين) يستفاد من التأكيد، وليس من تنوع النكرة، بل مستفاد من تنوع محتوى النكرة، أو هو مستفادٌ منها بمقتضى التكرار المؤكد المفيد معنى متجدداً، لا أن القاعدة المذكورة هي الفيصل الوحيد فيه، ولذا ذكر الزمخشري ﷺ توجيه وجود اليسرين لا بمقتضى القاعدة المذكورة فقال: "بناء على قوة الرجال، وأن موعد الله ﷻ لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول في أنه يحتمل الجملة الثانية تكريراً للأولى، كما كرر قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدةً بأن العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عدةً مستأنفةً بأن العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو:

- إما أن يكون تعريفه للعهد، وهو العسر الذي كانوا فيه، فهو هو؛ لأنَّ حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالاً.

- وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد، فهو هو أيضاً.

وأما اليسر فمُنَكَّرٌ متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير إشكال"<sup>(٢)</sup>.

(٣) سبب الإتيان باليسر مُنَكَّرًا: للتفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر يسراً عظيماً وأيُّ يسر، ونقل الزمخشري ﷺ أنه في مصحف ابن مسعود رحمته مرة واحدة<sup>(٣)</sup>، وهي مسألة دون إثبات صحتها حمل الجبال.

### نوع اليسر الأول والثاني:

#### وقد تسأل: ما نوع اليسر الأول والثاني؟

الجواب: اليسر الأول غير اليسر الثاني وإن اشتركا في جنس اليسر، فقد ذكر المفسرون كالزمخشري ﷺ في الكشاف، وشرح الحديث كالمناوي ﷺ في فيض القدير شرح الجامع الصغير وجوهاً متعددةً لليسر هي أقرب إلى التمثيل منها إلى التعيين، ومنها:

(١) الأول: ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ، والثاني: ما تيسر لهم في أيام الخلفاء.

(٢) الأول: يسر الدنيا، والثاني: يسر الآخرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَىٰ

أَلْحُسْنَيْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب<sup>(١)</sup>، ولذا قال محمد أنور شاه بن معظم

(١) الكشاف (٤/ ٧٧١).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٧١).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٧٢).

شاه الكشميري الهندي (ت ١٣٥٣هـ) رحمته الله: "قوله: «لن يغلب عسر يسرين» كنا نرى أنّ الموعود يسران في الدنيا، فظهر من الحديث أنّ المراد منه يُسَّرُ في الدنيا، ويُسَّرُ في الآخرة"<sup>(٢)</sup>، فقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم فِي عَسْرِ الدُّنْيَا، فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْفَتْوحِ وَالْغَنَائِمِ، ثُمَّ وَعَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى، فَالْتَقَدِيرُ إِنْ مَعَ الْعَسْرِ فِي الدُّنْيَا يَسْرًا فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ مَعَ الْعَسْرِ فِي الدُّنْيَا يَسْرًا فِي الآخِرَةِ، لِلْقَطْعِ بِأَنَّهُ لَا عَسَرَ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ، فَتَحَقَّقْنَا اتِّحَادَ الْعَسْرِ، وَتَبَقْنَا أَنَّ لَهُ يَسْرًا فِي الدُّنْيَا، وَيَسْرًا فِي الآخِرَةِ<sup>(٣)</sup>.

(٣) ومن المعاني الجميلة التي ذكروها أن اليسر الأول مجاهدة النفس، واليسر الثاني العون من الله عَلَيْهِمْ<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الرابع: الكلام في الحديث المروي فيها: «لن يغلب عسر يسرين»:

(١) ورد هذا الحديث موقوفاً ومرفوعاً فعن زيد بن أسلم رحمته الله قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله عَلَيْهِ بعده فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِيرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]»<sup>(٥)</sup>. إلا أنه لا دلالة في هذا القول على ارتباطه بآية سورة الشرح، فيحتمل تعلقه بها وأن عمر رضي الله عنه استنبطه منها، ويحتمل أنه استنبطه من غيرها.

(٢) وورد أيضاً من قول عمر رضي الله عنه بمثله عند الحاكم رحمته الله، وزاد فيه: فكتب إليه أبو عبيدة رضي الله عنه: سلام عليك، وأما بعد: فإن الله عَلَيْهِ يقول في كتابه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] إلى آخرها، قال: فخرج عمر رضي الله عنه بكتابه فقعد على المنبر، فقرأ على أهل المدينة، ثم قال: «يا أهل المدينة إنما يعرض بكم أبو عبيدة رضي الله عنه أن ارغبوا في الجهاد»<sup>(٦)</sup>، وعند ابن أبي شيبة رحمته الله: فقال زيد: فقال أبي: وَإِنِّي لَفَائِمٌ فِي السُّوقِ، إِذْ أَقْبَلَ قَوْمٌ مُبَيَّضِينَ، قَدْ اظْلَعُوا مِنَ الثَّنِيَةِ فِيهِمْ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه يُبَشِّرُونَ النَّاسَ،

(١) الكشاف (٤/٧٧١، ٧٧٢).

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري (٥/٤٥٣).

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (٢/٧٣٤، ٧٣٥).

(٤) فيض القدير (٥/٣٠٣).

(٥) موطأ مالك ت عبد الباقي (٢/٤٤٦)، برقم: (٦)، وقال عبد القادر الأرناؤوط: "وإسناده منقطع، ورواه ابن مردويه من طريق عطية عن

جابر رضي الله عنه موصولاً، وإسناده ضعيف، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً أخرجه البيهقي، ورواه الحاكم والبيهقي في "شعب الإيمان" من

طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن مرسلًا، وهو مرسل صحيح، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله، وعن ابن

مسعود رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً، وفي الباب عن عمر موقوفاً. جامع الأصول (٩/٤٩٧).

(٦) المستدرک (٣١٧٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

قَالَ: فَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبَشِّرُ بِبَصَرِ اللَّهِ وَالْفَتْحِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! رَبِّ قَائِلٍ: لَوْ كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ»<sup>(١)</sup>.

(٣) وذكر هذا القول البخاري رحمه الله في تفسير سورة الشرح فقال: "قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رحمه الله: أَيُّ: مَعَ ذَلِكَ الْعُسْرِ يُسْرًا آخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ"<sup>(٢)</sup>، واليسران هنا يحتمل أن يكون من كلام ابن عيينة رحمه الله، وهو الظاهر، ويحتمل أن التتمة من كلام البخاري رحمه الله، كما يحتمل أن يكون أراد باليسرين الاستنباط من آية الشرح، ويحتمل أنه أراد الاستنباط من آية براءة التي فيها ﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾.

(٤) ويمكن ذكر خلاصة روايات هذا الحديث بما ذكره ابن حجر رحمه الله، حيث قال: "قوله «ولن يغلب عسر يسرين» وروى هذا مرفوعاً موصولاً، ومرسلاً، وروى أيضاً موقوفاً، أما المرفوع فأخرجه ابن مردويه رحمه الله من حديث جابر بن عبد الله بن مسعود رحمه الله بإسناد ضعيف، ولفظه «أوحى إليّ أن مع اليسر يسراً إن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسر يسرين»، وأخرج سعيد بن منصور وعبد الرزاق من حديث بن مسعود رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرج» ولن يغلب عسر يسرين - ثم قال - ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، وإسناده ضعيف، وأخرجه عبد الرزاق، والطبري من طريق الحسن بن علي بن فضال عن النبي ﷺ، وأخرجه عبد بن حميد عن بن مسعود رحمه الله بإسناد جيد من طريق قتادة رحمه الله، قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه ﷺ بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله»، وأما الموقوف فأخرجه مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رحمه الله... وقال الحاكم رحمه الله: صح ذلك عن عمر، وعلي رضي الله عنهما، وهو في الموطأ عن عمر بن الخطاب رحمه الله لكن من طريق منقطع، وأخرجه عبد بن حميد عن بن مسعود رحمه الله بإسناد جيد، وأخرجه الفراء بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما"<sup>(٣)</sup>.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٢/٤) رقم (١٩٤٨٦).

(٢) البخاري (٢١٣/٦)، قال الألباني مختصر صحيح الإمام البخاري (٣/٣٢٢): "لم يخرجها الحافظ، ولعله في "تفسيره"؛ أعني: ابن عيينة، وقوله: "لن يغلب عسر يسرين"، قد روى مرفوعاً، وقد خرجته في "الضعيفة" رقم (٤٣٤٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧١٢/٨)، وينظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٣/٥٩٣).

**تلخيص لأهم القواعد التي ذكرت في المباحث السابقة:**

القاعدة الأولى: نزل القرآن الكريم وفق لغة العرب وطرائقهم في الكلام، ويجب أن يحمل على ذلك في ألفاظه وأساليبه: كالحذف، والإطناب، والتضمين، والإضمار والكناية، وغيرها.

القاعدة الثانية: الأصل عدم الحذف، فلا بد من دليل يقوم عليه.

القاعدة الثالثة: تُضمن الأفعال معاني أفعال آخر إذا عدت بغير حرفها المعتاد.

القاعدة الرابعة: القول بالتضمين مقدم على تناوب الحروف.

القاعدة الخامسة: لا يوجد إطناب في القرآن إلا لفائدة، فالإطناب في القرآن إيجاز.

القاعدة السادسة: الأصل عدم الترادف بين الكلمات، و«الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن: فإما نادرٌ، وإما معدوم».

القاعدة السابعة: قد يوجد ما يشبه الترادف في الاصطلاح الشرعي القرآني مع دلالة كل من اللفظين على معنى مستقل لا يدل عليه الآخر.

القاعدة الثامنة: الأصل في الالتفات إفادة معنى يريد المتكلم.

القاعدة التاسعة: النحو في لغة القرآن الكريم هو العمدة للنحو العربي، فما صح من قراءة للقرآن الكريم استنبط منه القاعدة العربية.

**أسئلة تقويمية:**

- س ١: اذكر قاعدة تكرار المعرفة والنكرة.
- س ٢: اذكر مثلاً لما تكررت فيه المعرفة، وآخر لما تكررت فيه النكرة.
- س ٣: هل هذه القاعدة مطردة؟ ناقش هذه المسألة.
- س ٤: ما معنى التكرار في آية الشرح؟ وما نوع اليسر الأول والثاني؟
- س ٥: ما صحة هذا الحديث: «لن يغلب عسر يسرين»؟